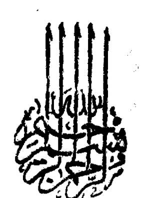
الرسـائل الجامعـة

حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني

أنور الجندي

دار الاعتصام







(١)

مدخل الى البحث

ان جميع الدلائل التى يكشف عنها مخطط التغريب والغـــزو الثقافى لأمتنا الاسلامية والذى يتكاثف اليوم بصورة مذهلة عن طريق جميع مؤسسات النفوذ الأجنبى ، على اختـــلاف نوعياتها غربية أو ماركسية أو صهيونية انما تهدف فى هذه المرحلة : مرحلة العقد الأول من القرن الخامس عشر وفى مواجهة تزايد علامات الصحوة الاسلامية ووضوح آياتها على أمر واحد :

هو (القضـــاء على الهوية الاسلامية والانتماء القرآنى) :

وفصـــل المســـلمين والعـــرب عن تاريخهم وعقيدتهم وتراثهم ولغتهم وكل مدوناتهم التى منحهم اياها الاســـلام بقيمه ومقوماته ودفعته القوية لاخراج الناس من الظلمات الى النور ، فكل الكتابات والمحاولات والخطط التى تجرى من خلف حركة اللقاء والتعامل مع القوى الخارجة ترمى الى قطع هذا الخيط ، وتمزيق هذه الرابطة وفصل هذا الاستمرار ، والحيلولة دون الامتداد الاسلامى الأصيل الكامن فى العقل والنفس والذاتية الاسلامية على مدى أربعة عشر قرنا وفصل هذه الأمة عن ماضيها تماما واحتوائها فى داخل اطار الحضارة الغربية التى تعانى سكرات الموت وافساد كل معالم التميز الخاص الذى عرف به المسلمون استمدادا من قرآنهم وشريعتهم ، فاذا سألنا أنفسنا ما هو الهدف الذى تقصد اليه كل هذه القوى من هذه المحاولة التى تجرى فى الخفاء ومن وراء الأضواء ومن سراديب مظلمة عرفنا ان الهدف هو الخوف من ابتعاث الاسلام مرة أخرى ،

انهم لا يستطيعون أن يقولوا هذا صراحة ولا يعلنوه ، بينما تمتلىء القلوب بالأحقـــاد والمخاوف **(ها أنتم أولاء تحبـــونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا ءامنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) .**

ان الحـــرب موجهة فى الحقيقة الى الاســـلام ، وان الخوف واضح هو ان يستعيد الاسلام مكانته وقوته ، بعد هذه المحاولات الواسعة الضخمة المتصلة التى عمل الغرب خلال أكثر من قرنين على انفاذها بدقة بالغة وعن مختلف الأســاليب والوســائل وفى مقدمتها تغيير العقلية الاســـلامية بالتعليم وتغــير القيم الاجتماعية بتغيير الأعـــراف ، وفرض النفوذ والســـلطان على مختلف ميادين الاقتصـاد والسياسة والدين .

انها محاولات ترمى الى وقف تطبيق الشريعـــة الاســـلامية والا تقوم الأمة الاسلامية ولا ينتشر الاسلام فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا ومن ثم فان هناك حملات تنصيرية واسعة ضخمة مؤيدة بالنفوذ والمال وسلطان مجلس الكنائس العالمى من ناحية والفاتيكان من ناحية أخرى انها معونات ضخمة تنفق لتوقف انتشار الاسلام واللغة العربية من ناحية ولاعادة الذين اسلموا الى المسيحية أو الالحاد .

(ان الذين كفـــروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن ســـبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) .

وفى الغـــرب (صيحة) تدعو الى اختيـــار الاســـلام بعد أن فشلت كل الاختبارات وعجـــزت كل الايدلوجيات وهى تنطلق من حناجر صادقة الوجهة مؤمنة بأن التجربة الغربية قد فشلت وأن الحضارة الغربية فى طريق الانهيار .

ولكن هناك قوى تصد هذا التيار وتقف فى وجهه وتحاول أن تدمره ، فتطلق من الاشاعات والشبهات والسموم فى وجه الفكرة الاسلامية ما تحاول به ادخال اليأس فى القلوب الطامحة ، واشاعة

الكراهية فى النفوس المتطلعة ، وتجرى حركة التعارف واسعة حول المسلمين لدعوتهم الى الحوار لاستخلاص تصريحات فهم تستغل للقول بأن الاديان كلها من عند الله وان الفوارق بينها قليلة بينما حقائق الأمور تؤكد يوما بعد يوم أن الموجــود فى أيدى الناس من الكتب القديمة ليس سليم المصدر وليس الهى المصدر ، ما عــدا القرآن ، يكشف هذا وذاك أمثال جارودى وبوكاى ولكن الصيحات المضادة تحاول أن تدخل فى القلوب من الزيف ما لا نهاية له .

أن الغرب والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الاسلامية وانتمائهم القرآنى هو أكبر الأخطار ومن ثم فان كل قوى التغريب والغزو الثقافى ستطلق فى هذا الاتجاه ، ويقوم الاستشراق والتبشير بدور كبير .

وتنطلق السنة واقلام تشكك وتقذف بالحقــد ، وبالكراهية وبالسموم من أصحاب لساننا وممن يتسمون بأسماء المسلمين .

كل هذا يجرى فى هذه السنوات ومنذ برزت ملامح الصحوة الاســلامية بهدف اجهاضها قبل بلوغها غايتها ، أو تفويت الوقت عليها ، ولكن لما كانت هذه الصحوة خالصة لوجه الله تعالى ، فهى مؤيدة منه تبارك وتعالى ، وهى فى كل خطواتها اليوم تلمس الحكمة والاعتدال والاناة ، وتخطو من مرحلة الى مرحلة حسبما تجــرى سنن الله تبارك وتعالى فى مغالبة الواقع وتصحيح المفاهيم ، وتحرير القيم ، والعودة الى المنابع ، واحياء الأعراف الاسلامية السامية القائمة على العزة والجهاد والأمــر بالمعروف والوعى بما يحــاط بالمسلمين والاعداد والاستعداد والمرابطة فضلا عن أنها تعلن فى كل لحظة بالمسالمة لكل الأمم والاخــاء الانسانى لكل الناس والعطاء الربانى لكل البشر وما أعتقد ان صحوة على هذا الطريق الا محققة غايتها مهما وقعت فى طريقها المؤامرات والمناورات .

(٢)

أسلمــــة العلـــوم والمناهـــج

ان العمل الحقيقى المطروح فى العقد الأول من القرن الخامس عشر : هو اسلمة المناهج والعلوم واسلمة التكنولوجيا ، فلا بد أن يتسلح المسلمون الى جانب تطلعهم الى معطيات الحضارة الحديثة المادية بهذا السلاح : سلاح التميز الواضح والفهم الاسلامى لكلمات الحضارة ، العلم ، المجتمع ، ولا بد أن ينمو تصور اسلامى واضح قائم على العقيـدة والاخلاق السائد على كل معطيات الانســان والمجتمع لكسر طوق التبعية والاستغلال وتسخير الطاقات البشرية والموارد الانسانية لتنمية الانسان المسلم والوطن المسلم وتحـرير المستضعفين فى الارض من الاحتكار العالمى وان يبدأ ذلك من منطلق أن « العلم » انسانى الوجهة ربانى الغاية ، يؤمن بان معطيــاته من الله تبارك وتعالى وخالصة فى سبيل المجتمع الربانى والحضارة الربانية وأنه ليس هناك ما يسمى بالطبيعـــة ، او بالجبرية ، أو الحتمية ، أو الصدفة ، فكل أمور الحياة قائمة على أسس مضبوطة محكمة ، وان فتوحات العلم هى عطاء من الله تبارك وتعالى للانسان فهو الذى فتح هذا الباب والاسلام هو الذى علم العقـل البشرى القدرة على استكناه المجهول وان العلم ليس الا وسيلة لفهم ظواهر الاشياء وقد استعلى العلم بدعاواه الباطلة ثم عاد فنزل عنها، وعرف قدره ولكن الفلسفة المادية اليوم هى التى تحاول معارضة نواميس الكون وقوانين الطبيعة وسنن الله تبارك وتعالى وتستعلى عليهــا ومن ثم نجد تلك الفلسفات المضللة التى تحاول أن تصور الانسان حيوانا شهوانيا وطالب طعام وتصنع له الفلسفات المادية المضلة

لتخرجه عن طبيعته الانسانية الجامعة بين المادة والروح ، ومن ثم فان الاسلام له مفهومه الأصيل الجامع للعلم والحضارة والمجتمع ، وهو مفهوم مختلف تماما عن مفهوم الغرب وهو المفهوم الأصـيل الذى لا يمكن ان يقوم المجتمع الاسلامى الا على أساسه ولا تستأنف الحضارة الاسلامية حركتها الا فى نطاقه .

ولقد جرينا شوطا وراء المفاهيم الغربية الوافدة التى سيطرت على التعليم والثقافة والفكر وحاولت ان تحتوينا فى دائرتها ومنـذ ذلك الوقت ونحن نعيش عصر التبعيـة : تبعية الفكر والمجتمـع والحضارة ولن نستطيع فى ظل هذه التبعية أن نقيم مجتمعنا الربانى ولن تستطيع حضارتنا الاسلامية أن تستأنف بثها وحركتها .

اذن فأسلمة المناهج والعلوم ضرورة أساسية اليوم ، ولا سبيل الى استئناف حياتنا الثقافية والاجتماعية الا بها .

وتبدأ هذه الخطوة من التعليم فلا بد من تحرير المناهج التعليمية من النظريات الغربية المادية الوافدة المضادة لمفهوم التوحيد الخالص خاصة فى مجال العقائد والاخلاق والمجتمع والتربية .

اننا تجدنا الآن نصدر فى كل ما يواجهنا من مشاكل وقضايا من خلال مفهوم غربى وافد ، مادى الطبيعة ، بعيد عن المفهوم الاسلامى الجامع ، ومن هنا نقع فى الاخطاء وتضطرب أمـورنا لاننا اعتنقنا مقررات الاقتصاد والسياسة والاجتماع الغربى ، ومن ثم نحن نقتبس أساليبه فى علاج المشاكل ، مع ان مشاكلنا وقضايانا نابعة من مجتمع مختلف تمام الاختلاف ، ولذلك فاننا ننتقل من الخطأ الى الخطأ ، ولو اننا حاولنا التماس الاصالة والمنابع والمناهج المستمدة من مفهـوم الاسلام لامكننا الوصول الى النتائج الاصيلة الايجابية .

اننا أمة واعية فطنة غير خادعة ولا مخدوعة ، لنـا أسـاليبنا ومناهجنا ومعتقداتنا ولا بأس لدينا أن نستفيد من تجارب الآخرين ،

ولكنا لسنا صالحين لتكوين المجتمع الصحيح الا اذا التمسنا أصولنا وقيمنا وامامنا تجربة « العلمانية » التى طبقها الغرب ، ففصل بين الدين والمجتمع ، وفى الحضارة فصل بين العلم والاخلاق ومن ثم وقع فى هذه الأزمة القاسية العنيفة التى تمر بها المجتمعات الغربية اليوم اننا مطالبون بأسلمة المناهج التعليمية لانها المدخل الى كل منـــاهج الثقافة والفكر ، وأسلمة القوانين لأنها المدخل الى الحياة الاجتماعية وأسلمة البرامج الترفيهية لأنها أساس اخلاقيات الفرد والأسرة .

لقد استطاع النفوذ الغربى عن طريق التعليم العلمانى المفرغ من الاسلام وعن طريق دعوة القومية والاقليمية أن يحقق أهدافا كثيرة أخطرها على الاطلاق قبول مقاييس الغرب على النحو الذى يجرى الآن لاخراجنا من اصـــالة الاســـلام الى التحديث والعصرية والتماس مفاهيم الغرب فى الأدب والحضارة والمجتمع ، والاستلاب من قيمنا القائمة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى الجهاد: تلك الفريضة الماضية الى يوم القيامة ، والى الدخول فى مرحـــلة تحلل وترف اجتمـــاعى خطـــير يكره العزائم والمرابطة فى الثغـــور وتخبو فى اعماقه روح الفداء والبذل والموت فى سبيل الله ، وقبول الواقع المهين تحت اسماء براقة خادعة منها كلمات السلام والتعايش وذلك كله على حساب الاسلام ، ونحن وحدنا المدعوون الى التسامح والى البعد عن التعصب والعنف ، ونحن المدعوون الى تنظيم النسل والى قبول سيطرة القوى الغربية على مقدراتنا وعلى الانتظام فى فلك النظام الاقتصادى الربوى وعلى الدخول كجزء منصهر فى بوتقة الاقتصاد العالمى والحضارة العالمية المتجهة الى الاسراف وتدمـــير المعطيات والقيم فى سبيل الترف والتحلل والجنس والشهوات ، اننا اذا لم نعد الى امتلاك ذاتيتنا الخاصة فاننا مستسلمون لنكون سوقا للاستهلاك الغربى ومصدرا للخامات دون أن يكون لدينا القـــدرة على بناء صناعة اسلامية حقيقية نتحرر بها من نفوذ الغرب .

***

(٣)

لمـــــاذا يدخلـــــون فى الاسلام

نقرأ بين حين وحين اسلام مثقف غربى كبير أو باحث أو فنان فلا ندهش لذلك ولكنا نجــد ان هذا الانسان تــد التمس الفطرة واستطاع ان يتحرر من كثير من تيود المجتمعات وزيوفها ، وهى عوامل معقدة لا يستطيع التحرر منها الا من هدى الله تبارك وتعالى ولا ريب كان للعلم الحديث اثره الواضح فى تحرير العقل البشرى من تبول نظرية (اعتقد ثم ابحث) وهى نظرية باطلة فرضها بعض رؤساء الأديان ليحولوا بين تيام ايمان صادق على أساس المعرفــة واليقين ، وتد جاء الاسلام ليحطم هذه النظرية حين دعا الى البرهان والعلم وجاءت نظرية البحث تبل الاقتناع واليقين (تل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (تل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) (تل هــل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولذلك نجــد أن الدكتور عبد الكريم هربرت يضع هذه القضية فى مقدمة القضايا التى دفعته الى البحث فى الأديان حتى اهتدى الى الاسلام فيقول : ان من اهم العوامل التى دفعته الى اعتناق الاسلام هو دعوة القسس الناس الى تبول العقائد المسيحية من غير تفكير وتدبر وبلا اقتناع ، أما الاسلام فانه يدعو الى الاقتناع بالدليل .

٤ ـــ كذلك فان من اخطر التحديات التى تواجه المثقفين الغربيين مسألة الخطيئة وافتــداء البشر ، وهى عقيدة تديمــة انتقلت الى النصرانية فى روما من الأديان الوثنية ، يقول الدكتور عبد الكريم هربرت : ان تلبى لا يرضى بقبول هذه العقيدة المسيحية ، لقولهم أن

الله سبحانه وتعالى قد بعث عيسى عليه السلام الى العالم اجمع بجمله كفارة لذنوب جميع العباد ، أو كأن الجنس البشرى كله مكتظ بألوان من الذنوب والمعاصى وقد غفر له عقب صلب عيسى عليه السلام (وهو ما لم يحدث) واعتقد ان الله سبحانه وتعالى قادر على تجنب العباد ارتكاب المعاصى والمغفرة لهم بدون اى كفارة .

ويضم الدكتور عبد الكريم هربرت عاملا ثالثا مما دفعه الى الدخول فى الاسلام ذلك هو ما أسماه : البحث عن سكينة النفس وطمأنينة القلب ، يقول أن الاسلام هو دين الله الخالد الذى يستطيع ان يشرع قلوب الخاضعين له ويحل جميع قضاياهم ومشكلاتهم ويزيل جميع الشكوك والشبهات الناتجة عن تعاليم ومعتقدات الديانات الأخرى .

ويضيف الى هذه العوامل الثلاثة عاملين اخرين هما :

١ — الاخاء الانسانى بالرغم من جميع فوارق الجنس واللون .

٢ — كون ان الاسلام لا يناهض الجمود فحسب بل يدعو الى حصول الرقى والتطور ويسمح للفرد ان يكسب المال والثروة .

هذا والحقيقة ان ظاهرة دخول الاعداد الكبيرة فى الاسلام التى نسمع عنها اليوم هى ظاهرة جديرة بالدراسة والتدبر ، ففى كوريا دخلت جموع كثيرة فى الاسلام لأنها شاهدت الجنود الاتراك وهم يصلون ، واليوم تدخل جماعات كثيرة من المثقفين الغربيين فى الاسلام متأثرة بالصورة الساذجة البسيطة التى يصلى بها المسلمون يوم الجمعة ، بتواضعهم وطهارتهم وخلع احذيتهم خارج مساجدهم ووضع جباههم لله تبارك وتعالى .

ومن قبل قال القائل : ان عمامة بيضاء فى افريقيا اخطر من القنبلة الذرية ، ولذلك كان مما اخذته الحكومات الاستعمارية الحيلولة دون ظهور اصحاب العمائم البيضاء فى الموانى الكبيرة عند

رسو السفن ، او فى بعض المناطق المحرمة وبالرغم من ذلك الانفاق الضخم الذى تقوم به الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى فى افريقيا وجنوب شرق آسيا ، فان الاسلام بامكانيات أهله القليلة الضئيلة وبحقه الواضح وعقيدته الربانية ما زال يفتح القلوب .

ان الطبيب موريس بوكاى يشير الى اهمية تناقض قصص العهد القديم وخاصة قصة الخلق وقصة الطوفان ويقول انها لا تتفق مع المعلومات الحديثة فى تكوين العالم او معطيات التاريخ ، كما يشير الى ان اللاهوتيين البريطانيين السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب كنيسة انجلترا نشروا عام ١٩٧٧ نتائج أعمالهم تحت عنوان (وهم الاله المجسم) وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث .

ويقول موريس بوكاى ان تطبيق مكتسبات العلم على الكتاب المقدس تكشف عن تعارض واضح بينما انه عند مراجعة القرآن الكريم على ضوء المعارف العصرية نجد ان هناك كلاما قرآنيا سابقا لزمانه بما يزيد على الفاشية وان ما نعرفه من تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل ان يكون انسان ما قبل نحو اربعة عشر قرنا هو قائله ، ومعنى هذا ان قوة كبرى هى التى القت هذه المعلومات للنبى الذى تلى على الناس القرآن . كذلك فان النص القرآنى الموجود الآن بين أيدينا هو نفسه النص الذى كان متداولا فى فجر الاسلام فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص القرآن والمعارف العصرية .

فاذا رأينا هذا عرفنا ما هو الطريق الذى يدخل به الناس الاسلام فى الغرب فاذا اضفنا الى أبحاث موريس بوكاى كتاب المسيحية : نشأتها وتطورها للدكتور شارل جنينيز رئيس قسم الأديان بجامعة باريس استكملت الحلقة . حيث يقول فى صراحة تامة ان النصرانية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فانها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح وان هذه

النصرانية بدأت تنفصل منذ أن دخلها القديس لويس وان عقيدة (بنوة) المسيح انما كانت من أثر الخطأ فى ترجمة كلمة (عبد الله) التى كان يرددها المسيح كثيرا فكان من ترجمتها طفل أو خادم أما بولس فقد اختار كلمة (طفل الله) وكان لذلك تغيير هائل للفكــرة الدينية عن صورة الاله فى الفلســفة عامة وفى الدين النصرانى خاصة .

* * *

(٤)

استعـــــلاء كـــــاذب

ان ما قام به (برتراند رسل) فى كتابه (حكمة الغرب) من انكار فضل المسلمين على الفكر الانسانى أمر غير مستغرب فهـــو يؤكد روح الاستعلاء الغربى الذى يحاول ان يصور للناس تجاهل الفكر الغربى للاثار الحقيقية العضوية والجذرية القائمة فى تركيبه من اثر الفكر الاسلامى ومن الاثار التى قدمها المسلمون للفكر البشرى وهو من الرعيل المستعلى بالضلال عن الاعتراف بالفضل لأهـــل الفضل ، وخاصة ما يتصل بالمنهج العلمى التجريبى ودور المسلمين فى تكوين الفكر الاوربى وهـــو دور لا يمكن انكاره ، ومن ثم يسقط برتراند رسل كمفكر موسوعى محايد ، حين يتجاهل حتى ما اعترف به المؤرخون الغربيون أنفسهم وما أشار اليه برستيد فى كتابه (فجر الضمير) وما أشار اليه سارتون فى كتابه (تاريخ العلم) وما أشار اليه درابر ، وهونكه وجوستاف لوبون ، انكر رسل دور الاسلام والمسلمين فى تكوين الفكر الغربى وهو دور يذخر بأرقى ما وصـــل اليه الفكر البشرى فقد استطاع فضل العلم الاسلامى ان يضىء اوربا فى عصور الظلام وان ينشىء عصرا جديدا للنهضة الفكرية والعلمية فى أوربا تخرجها من جمود وسلبية الرهبانية التى اناخت بكلاكها على الحياة الغربية قرونا طوالا ، وما أكبر خطأه فى قوله ان الحضارة الشرقية والغربية قد نحت كل منهما فى أتجاه ، كذلك فقد اخطأ فى ربط الفلسفة الغربية وحدها منذ نشأتها بالعلم كما اخطأ فى النظرة الى الفتوحات الاسلامية ، ولما كان من الكتاب العلمانيين المنكرين للاديان ولله تبارك وتعالى فليس غريبا أن ينكر فضل الاسلام .

خاصة اذا قارنا ذلك بما اطلق عليه ماكس فانتاجو (المعجزة العربية الاسلامية) حين تحدث عن الحضارة الاسلامية وأبحاث المسلمين التجريبية حيث قال انها كانت السبب فى يقظة الغرب وان علومهم هذه درست فى الجامعات الأوربية منذ القرن الثانى عشر الميلادى وان الملوك الأوربيين جمعــوا علوم العــرب وكتبهم ومخطوطاتهم واشاعوها فى الجامعات الغربية .

وقال ان قاعــدة التكوين الثقافى لروجر بيكون كانت دراسة المؤلفين العرب والمسلمين لا سيما ابن الهيثم والبيرونى وقال أن العرب والمسلمين هم الذين عرفوا ذلك المزج التربوى الســـليم بين الثقافة الانسانية والروح العامة وبين الثقافة العلمية التجريبية وانهم بذلك وضعوا العلوم المختلفة مقامها الصحيح واظهروا تفاعلها وبينوا اهميتها التربوية الكاملة .

وقال ان المنهــج العلمى التجريبى وضعه المسلمون ونســـبه الغربيون لأنفسهم .

ومن ناحية أخرى فاننا نرى بعض مثقفينا الذين ذهبــوا الى أوربا وعادوا وقد لقنوا هذا الذى يقوله متعصبو الغرب فالدكتور محمد حسين هيكل فى مقدمة كتابه (حياة محمد) يقول انه يكتب سيرة النبى لأول مرة على أساس المنهج العلمى الغربى ويقول له الامام المراغى فى مقدمة كتابه ان ما تحسبه منهجا علميا غربيا هــو المنهج الاسلامى الذى صنعه علماء المسلمين ثم نقله الغربيون .

ونجد طه حسين يقول أنه يعتمد مذهب ديكارت فى البحث الأدبى ويرد عليه الاستاذ الغمراوى ان ما عرفه ديكارت نقله من الامام الغزالى فى رسالته (المنقذ من الضلال) وان منهج الوصول الى اليقين عن طريق الشك موجود لدى المسلمين ولم يعرفه طه حسين بالرغم من انه ألم بالازهر وقد ذهب الى أوربا ليحضره لنا مع انه لدينا أصلا لو انه تعمق علوم الاسلام .

وقال دارسو الفلسفة فى الجامعة المصرية : ان الفلسفة العربية هى الفلسفة اليونانية مكتوبة باللغة العربية ورد عليهم الشيخ مصطفى عبد الرازق فقال ان ما يسمونه الفلسفة العربية مما كتبه ابن سينا والفارابى وابن رشد ليس الا مدرسة تابعة للمشائين اليونانيين أما الفلسفة الاسلامية الحقة فتبدا بكتابات الامام الشافعى (علم أصول الفقه) .

ولما استعلى صوت التغريبين (لطفى السيد — طه حسين) بالدعوة الى عودة الفكر الاسلامى الى ارسطو رد عليهم الدكتور محمود قاسم قال ان المستشرقين نقلوا المسلمين الى ارسطو ونقلوا انفسهم الى مناهج المسلمين وان الغربيين حينما اخذوا منهج التجريب وهاجموا ارسطو ومنهجه لم يجدوا اعظم مما كتبه علماء المسلمين فى مهاجمة ارسطو والفكر اليونانى الوثنى القائم على (علم الأصنام) .

كذلك فقد تكشف فساد الاكذوبة العريضة التى كانت تقول ان ارسطو هو معلم المسلمين ولم يكن ارسطو معلم المسلمين ولكنه القرآن .

وقد احصى الاستاذ محمود زايد عددا من الآثار التى قدمها الاسلام الى أوربا حيث قال سيديو (ان العرب هم فى الواقع أساتذة اوربا فى جميع فروع المعرفة .

(أولا) : لم يقبلوا جميع المعارف التى وصلت اليهم بل اجروا عليها الاختبار وابانوا وجه الخطأ فى بعضها ، فصححوا قول جالينوس وابقراط وارسطو وافلاطون التى كان ينظر اليها الى حد التقديس .

(ثانيا) : الروح العلمية التى اتصف بها القائمون على تلك النهضة على قاعدة السعى وراء المعرفة من أجل المعرفة لا من اجل النفع المادى الذى يحصل من ورائها .

(ثالثا) : **العلوم التى** كانوا هم اول من ابتكرها علوما مستقلة قائمة بنفسها : علم **المثلثات** ، تاريخ الطب ، استقلال العلوم ، التاريخ (ابن خلدون) وعلم جديد هو علم مقارنة الملل (ابن حزم) والشهرستانى والنويتجى والمسعودى والبيرونى .

(رابعا) : التسامح الذى عاشت فيه الفئات المختلفة التىكانت تحيا فى ظل **المسلمين** .

(خامسا) : النظرة الى اصحاب الديانات نظرة كريمة فقد اعتبروا هؤلاء جماعات لها الحق فى أن تحيا حياة كريمة على أن تسامحهم مع الطوائف كان له اهمية كبرى فى تقدم المسلمين الفكرى فقد شجع هذه العناصر على أن تسهم فى صرح النهضة **قال اقبال :** ان **حضارة الاسلام تتمثل فى قوله تعالى :**

« وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » فهى توفيق بين العقل والعاطفة والوحى والعلم وبين المادة والروح — واليوم نرى ظاهرتين متكاملتين: الظاهرة الأولى هى انهيار الحضارة الغربية وفلسفتها المادية (والتحلل الخلقى والتمزق والغربة) وعجزها بايدلوجيتها الليبرالية والماركسية عن العطاء وعدم قدرتها بالرغم من التوسع العلمى البارع الى اعطاء البشرية اشواقها الروحية وسكينتها النفسية ، وفى نفس الوقت نجد وضوح دور المسلمين فى الحضارة وقدرة الاسلام على العطاء فى هذه الازمة الراهنة اذ انه وحده الذى يملك (الجانب الربانى) الذى حجبته الحضارة المادية والغائب الان عن المجتمعات وظهور الرواد الذين يرون ان العالم لا يصلح بغير التجربة الاسلامية ، مع تطلع الغرب والبشرية الى منهج جديد وليس غير الاسلام .

* * *

(٥)

ليس إلا الإسلام لإصلاح البشريـــة

أمران نحن فى حاجة اليهما :

(أولهما) منهج اصيل يرد الفضل الى صاحب الفضل .

ثانيهما : تقديم وجهة نظر الاسلام فى مختلف القضايا .

المنهج الأول يكشف فضل المسلمين فى بناء جميع علوم الحضارة الحديثة .

واعتقد اننا فى حاجة الى منهج اصيل لدراسة علوم الاســـلام ومعطياته سواء فى مجال الحضارة أو التاريخ أو اللغة أو الثقافة او العقيدة أو الشريعة أو الاخلاق ، هذا المنهج الأصيل يستمد من الاســـلام ويقوم على أسس ثابتة : التوحيد الخالص ، الثـــوابت والمتغيرات ، التكامـــل الجامع بين القيم الروحية المادية) الايمان بمنهج الاسلام فى النصر والهزيمة ، الايمان بمنهج الاسلام فى قيـــام الحضارة وسقوطها ، الايمان بمنهج الاسلام فى حركة التاريخ وخاصة فى الازمات ، الايمان بالرابطة الجذرية بين اللغة العربية والقرآن من ناحية ، وبين العروبة والاسلام من ناحية أخرى ، الايمان بمنهج الاسلام فى الحدود والعقوبات ، منهج وقائى يعمل على حمـــاية المجتمع من الجريمة ، لا يقوم على معاقبتها بعد وقوعها ولكن يقوم على الحيلولة دون وقوعها ، الايمان باخلاقية المجتمع ، وبان الاخلاق جزء من العقيدة وهى من الثوابت التى لا تتغير ، الايمان بمنهـــج المعرفة الاسلامى ذى الجناحين ، الذى قدمه الاسلام والذى يختلف

عن منهــج الغرب (الجناح المادى) ومنهج الهندوكية والبــوذية (الجناح الروحى) والايمان بمنهج العلم التجريبى الذى قدمه الاسلام مفهوم الحضارة الاسلامية فى العدل والرحمة ، والاخاء البشرى وهى عطاء لكل البشر بدون استعلاء جنسى أو أمة .

ثانيا : ان رسالة الاسلام مدعوة اليوم الى انقاذ العالم كره اخرى بعد ان سقط فى براثن الوثنية المادية والانهيار الخلقى ، فعلى المسلمين رفض أسلوب العيش الغربى والحصانة دون الذوبان فى حضــارة المستعمر والتماس أسلوب الجهاد الاسلامى والأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلينا ان نعرف أن واقع المسلمين ليس حجة على الاسلام .

ان القضاء على ذاتية الاسلام وتميزه هو هدف دعوات التغريب والغزو الثقافى والتمسك بهذه الذاتية هو وحده الذى يحول دون صهرنا فى الأممية العالمية أو صهر ديننا فى الأديان الأخرى .

ثالثا : هناك فوارق عميقة بين منهج الاسلام والمنهج الغــربى البشرى :

١ ــ ربانية المنهج وانه من عند الله تعالى .

٢ ــ انسانية المنهج ، وهــو أن كل بنى آدم من تراب وأنه لا فضل لعربى على اعجمى ولا اعجمى على عربى ولا أبيض على اسود الا بالتقوى والعمل الصالح .

٣ ــ عالمية المنهج : وهو أن الاسلام جاء للعالمين جميعا ، من لدن محمد صلى الله عليه وسلم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ليظهره على الدين كله وكتابه مهيمن على كل الكتب .

هناك فوارق عميقة بين المنهج الربانى البشرى فى مجال النفس والأخــلاق وفى مجال الاقتصاد ، وفى مجال القانون ، وفى مجــال التربية والتاريخ والأدب ، يجب أن تتكامل النظرة : الوطنيةوالقومية

والاقتصادية الى منظور اسلامى من العروبة الى الاسلام ، عروبة فى اطار الاسلام .

وبالنسبة للنفس الانسانية من الانانية الى الغيرية ، ومن الكون الى المكون ، مزية الاسلام الخطيرة البارزة انه يرفض الجسم الغريب ، ليست الشورى هى الديمقراطية وليس العدل الاجتماعى هو الاشتراكية ، ونحن نقبل التحديث ولكن لا نقبل التغريب ونقبل معطيات الفكر الغربى كمواد خام نشكلها كيف نشاء ، فى دائرة مجتمعنا وحضارتنا ولا نقبل التبعية .

ونقبل الأساليب والوسائل ولكنا لا نقبل النظم والمناهج ، فلدينا منهجنا الجامع واسلوب العيش الاسلامى أوسع افقا من اسلوب العيش الغربى .

ثالثا : علينا أن نفرق بين المعرفة والثقافة ، فالمعرفة عامة والثقافة خاصة ، لنأخذ العلم لاننا كنا أصحاب الفضل فى بنائه بمنهجنا التجريبى ونشكله فى دائرة مفاهيمنا ، فحضارتنا الاسلامية لا تؤمن بالاستعلاء العنصرى والجنسى ، ولا تؤمن بحجب العلوم على الناس ولا تجعل عطاء الله قاصرا على أمة دون أمة بل هو للبشرية كلها .

لنحذر خطر الترف الفاسد فهو علامة بدء عصور التفكك ، وقد عجزت الحضارة الغربية ان تحمل امانة العدل والرحمة والاخاء البشرى واستبدلت ذلك كله بان قذفت فى نفوس اهل البشرية الخوف والجزع وجرت كل مجرى مع سبيل تقديم منهج حياة بشرى فيه خير ما فى المنهجين الفردى والجماعى ، الرأسمالى والاشتراكى .

لقد اثبت الاسلام بالتجربة خلال اربعة عشر قرنا انه أصلح النظم العالمية فقد بقى شامخا بينما تداعت النظم الرأسمالية والاشتراكية ولم يمض عليها الا القليل ، فالنظام الاسلامى قد نجح

فى وجه المتغيرات الاجتماعية قرونا طويلة ، وأقام دولة عالمية من حدود الصين الى نهر اللوار ذات سيادة عالمية بكفاءة تامة ، واثبت صلاحيته فى جميع الأحوال ، ولا غرابة فى ذلك فان اساسه منزل من رب الخلق والكون ، وقد وضعه الحق فى أحكام وجعله قادرا على مواجهة العصور المختلفة والبيئات المتعددة .

أما النظام الرأسمالى فانه لم يستطع تحمل الثورة الصناعية وادى ذلك الى الانفجار الشيوعى ، واليوم يطالب الغرب بنظـــام جديد غير الرأسمالية والشيوعية وليس غير الاسلام .

* * *

(٦)

تربيــــــــــة إسلاميـــــــــــة

علينا أن نسأل انفسنا ونحن نتعلم : ما هى الغـــاية التى نتعلم من أجلها ، اننا نفعل ذلك لنعرف وجهة الانسان التى من اجلها جاء الى هذه الدنيا ، وقد هدانا الاسلام الى هذه الوجهة ، وهى بناء منهج الله تبارك وتعالى فى الأرض فالاسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع ، وليس مجرد عبادة الله بعبارات الصلاة والصوم والزكاة والحج ، فتلك العبارات هى التى تفتح لنا الطريق الى القيام بالمهمة الكبرى وقد علمنا الاسلام أن علينا : مسئولية فردية والتزاما اخلاقيا فأعطى الانسان كل ما يتطلع اليه من اشواق الرغبات ورغبات المادة وايمان بالبعث والجزاء فى الحياة الآخرة ، والتقى الاسلام بالفطرة على أســـاس (التوازن ــ التوسط) حمـــاية الفرد من أن تدمره الشهوات وحماية الفرد مقدمة لحماية الأسرة ولحماية كيان الأمة من أن تنصهر فى الأمم الأخرى أو تفقد ذاتيتها الخاصة ، أو تضعف عن طريق الاسراف فى الترف والشهوات فلا تستطيع حماية الكيان الاسلامى من مخاطر الاحاطة بها .

وسؤال ثانى : علينا أن نسأل أنفسنا ونحن فى لباس الرياضة ومعسكرات التدريب : لماذا هذا النظام فى تربية الأجساد والاجابة هى أن تكون هذه الأجساد مستعدة لأداء حق الله وحماية الثغور

فضلا عن ان المؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف والدرع الواقى للوطن بعد جيوشها المظفرة باذن الله .

فيكون عونا للمحتاج ، باذلا فى سبيل الخدمة العامة ، ولقد أعلى الاسلام من شأن التربية وجعلها مقدمة على التعليم ، فالتربية أوسع مدى من التعليم فهى مرتبطة بالبيت والشارع والمدرسة ومتصلة بالنفس والعقل والجسم جميعا .

والتربية والتعليم والثقافة مراحل ثلاث متكاملة .

التربية تبنى النفس والجسد قوامها الخلق الكريم والعمل النافع والحركة المتصلة بالهدف الاسمى ومن هنا فان التربية الاسلامية تتميز بطابع خاص ، وتختلف عن مناهج التربية فى الأمم الأخرى ، وقد جمعت التربية الاسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، فهى تعنى بالتربية من أجل سلامة العقيدة والخلق والعقل والنفس والجسم دون أن يضحى بأى منها على حساب النوع الآخر او تعلى نوعا منها على جميع الأنواع .

كذلك فقد عملت التربية الاسلامية على اعداد الانسان لا المواطن ، الانسان البشرى القادر على أداء واجبه فى اطار امانته واستخلافه فى الأرض ، وذلك وفق نظرة سمحة كريمة الى الانسان والاعتراف برغباته ودوافعه وتقبل تحقيقها فى اطار الضوابط التى تحمى هذه الشخصية ، وفى اطار الارتفاع بها الى العمل الخالص لله ، المتمثل فى خدمة المجتمع والبذل له والانفاق وتقديم العون للفقير والضعيف وذى الحاجة وتعرف التربية الاسلامية بقابلية الانسان للتهذيب الخلقى وبضرورة العمل على تربية الانسان من فرديته المعترف بها أصلا الى الغيرية بالبذل واتقاء شح النفس واستعذاب الانفاق ورعاية الزمار .

***

(٧)

مواجهـــــة الفكـــــر الباطنـــــــى

ان استشراء دعوات الفكر الباطنى فى محيط الاسلام هذه الأيام يجب أن تواجه بيقظة شديدة ، خوفا من اثارها على شبابنا المسلم المفرغ من خلفيات الدعوات الهدامة ، وعجزه عن مواجهة البريق الخاطف ، الذى يتصـــــل بالأهواء والشهوات ومن ذلك ما يدعيه البعض عن الدورة الفلكية ، وعودة الموتى الى الحياة تحت أســـماء جديدة تختلف عن أسمائها القـــديمة ، التى عرفت به كالتنـــاسخ والحلول ، وهذه كلها دعوات قديمة كشف الاسلام زيفها ومع ذلك فقد جددها التلموديون ويطلق عليها البعض اليوم عبارة (الدورة الفلكية) أو الثورة الانسانية أو العلم المكتون وكلها دعاوى باطلة وزائفة فان آيات القرآن الكريم صريحة فى انه لا عودة بعد الموت **(قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) قال : (كلا)**

فالاســـلام يقرر فى صراحـــة نفى الرجعة فاذا عدنا الى تاريخ الملل والنحـــل نجد هذه السموم مثارة وقـــد أشار اليها البيرونى فى كتابه (تحقيق ما للهند من مقوله) وكيف ظهرت قديما وفى عهد عمر ابن الخطاب ومن ذلك دعاوى عبد الله بن ســـبأ وجماعته المسماة بالسبئية فليحذر شبابنا من مثل هذه الدعاوى .

كذلك فنحن نواجه بمصطلحات جديدة فى مسميات لم يعرفها القرآن ولم تعرفها السنة ولم ترد على لسان الصـــحابة والتابعين ومن ذلك عبارة العشق الصوفى والحب الالهى . وعبـــارة الجذب والفناء ، ووحدة الوجود والحلول والاتحاد فكل هـــذا لم يكن من

الاسلام اصلا ، وقد جاء مع ترجمات الفلسفات اليونانية والمجوسية والهندية ، وهناك مسألة الناى والرقص والمولوية وكل هذه افكار ضالة ، اخذها بعض الصوفية من الفلسفات القديمة ومن ذلك كتابات ابن عربى والحلاج وجلال الدين الرومى وابن سبعين وابن الفارض ، ولا شك ان مفهوم وحدة الوجود والحلول تعارض مفهوم التوحيد الخالص فى الاسلام وتعنى اختلاط الخالق والمخلوق ، وتعنى نفى صفتى القدم والبقاء عن الخالق الكريم .

ووحدة الوجود معناها انه لا فرق بين الوجود والموجود ، وهـذه العبارة من مصـطلحات الاسماعليه الباطنية والقـرامطة واخوان الصفا .

فليس مما يقره الاسلام الاتحاد مع الله تعالى فهذا الوجـود كله مخلوق لله منفصل عنه ونظرية الحلول هى من عمـل الفيلسوف اليونانى (افلوطين) .

ويرى بعض الباحثين ان سـعيد ابن ابى الخير (القـرن السادس) هـو أول من اخترع الذكر والزوايا ثم اعقبتها التكايا والذكر الجماعى والنمايل حتى وصلت الى الذكر الراقص .

ونحن حين نؤمن بالتوحيد الخالص والايمان على مذهب اهل السنة والجماعة يجب علينا أن نتحرر من الفكر الفلسفى ، والفكر الصوفى ، والفكر المعتزلى ، أما التصوف السنى القائم على مفهوم التوحيد الخالص فذلك لا اعتراض عليه .

ان معنى تبنى هذه المفاهيم فى ادبنا وفكرنا هو تمسيح الاسلام وتزييف أصالته وتشويه صورته الوضاءة الربانية فان جميع هؤلاء الفلاسفة المتصوفة والمعتزلة أخذوا من الفكر الوثنى المسيحى ولذلك احتضنهم المستشرقون .

ومن عجب أن يحاول الاستشرق ابراز هذه الألوان واحياءها

واعادة طبع كتبها بهدف واضح هو افساد المفهوم الاسلامى الأصيل فى النفوس المسلمة ، فنرى ماسينيون « الذى احتفل بمرور مائة عام على مولده فى جامعات ومؤسسات علمية كثيرة — هو الذى أحيا تراث الحلاج المسموم وقد امضى أربعين عاما فى هذا العمل وشجع ذلك بعض المتغربين على احياء هذه الشخصيات واذاعتها ووضعها فى أساليب جديدة من العمل الأدبى فنجد صلاح عبد الصبور ينشىء مسرحية لاحيـاء هذا الفكر المسموم ، يقول الأستاذ عز الدين المدنى :

لقد تأثر صلاح عبد الصبور فى مسرحية (مأساة الحلاج) بمقولات المستشرق ماسنيون عن الحلاج ، تلك المقولات التى كانت متأثرة بموقف ماسينيون الغارق فى الرهبنة الكاثوليكية ، ذلك ان كليهما حول شخصية الحلاج الى شخصية المسيح الذى يطهر البشرية يتحمل الآلام والفداء .

لقد قرأ صلاح عبد الصبور الحلاج والشبلى وابن عربى وظهرت آثار قراءاته فى دواوينه الأخيرة اما بالاشارة المباشرة الى اشعارهم التى وصلت الى حد التضمين والمعارضة واما بالنغمة الصوفية الحادة التى ظهرت فى شعره الأخير ، كما أن فكرة الصلب نفسها ليست فكرة طارئة عند صلاح عبد الصبور فهى دائمة الظهور فى شعره الذى تأثر بقراءاته فى القرآن والتوراه والانجيل تأثرا كبيرا .

أولا : النحت اللغوى المتأثر بأسلوب التوراه .

ثانيا : التضمين للألفاظ والجمل .

ثالثا : السرد النثرى المتأثر بالانجيل وقد سمى احد دواوينه (أقول لكم) اشارة الى قول المعلم الى حواريه .

ومن هنا فان عطاءه فى مأساة الحلاج يمثل فلسفة سيطرت على شعره وعلى عقله وقلبه زمنا طويلا .

ان علينا أن نتحرر من هذا الركام الزائف ، وكل ما يتصل به من فلكور ووثنيات وخرافات واساطير ونجوم فذلك كله مما نسخه القــرآن وزيفه وكشف عن فساده ، وقـــد ذهب الزبد ولم يبق الا ما ينفع الناس .

* * *

عبـــرة التاريـــخ :

الأندلس بعد خمسة قرون

يحتفــل المسلمون بذكرى مرور خمسة قرون على ســقوط الأندلس وانتهاء الحكم الاســلامى فى اسبانيا المسلمة عام ١٩٩٢ الميلادية حيث سقطت امارة غرناطة آخر معقل من معاقل الاسلام فى الأرض الأوربية فى شــهر ربيــع الأول عام ٨٩٧ هـ الموافــق يناير ١٤٩٢ .

وضاع كل أمل المسلمين فى استرجاع الأندلس أو ما يسمى (الفردوس المفقود) بعد أن سقطت قبلها طليطلة واشبيليه ودانية وبلنسية ومرية وغيرها من امارات الأندلس بعد مرحلة الطــوائف التى تعددت اماراتها واضطربت أحوالها وأصبح ملوك الطــوائف يعيشون شيعا وأحزابا مما كان ســببا فى نهاية الحكم الاســلامى العربى فى الأندلس .

وبالأمس فى عام ١٩٤٨ فقدت الأرض الاسلامية فلسطين كما فقدت الأندلس من قبل واليوم يكافح شعب افغانستان للحفاظ على أرضــه وعقيدته ومحاولة رفض الســيطرة والهيمنة الشــيوعية السوفيتية .

انطفأ نور حضارة الاسلام بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ بعد ثمانمائة عام من تاريخ عريض من الحضارة الاسلامية ، وما تزال آثارها واضحة وقائمة الى اليوم تتحدث عن هذا التاريخ .

ومن أجل هذا لابد من دراسة الأسباب التى أدت الى الانحطاط وهزيمة القوة الاسلامية فى الأندلس . وهما عاملان خطيران : تمزق شمل وحدة المسلمين والترف والتحلل ، فتمزق الشمل أطمع فيهم العدو الذى ضرب بعضهم ببعض وكانت الهـزيمة الحقة عليهم ، كذلك فانهم انصرفوا عن حماية الثغور والرباط فى مواقع الخطـر والاستعداد الدائم والاقبال على الترف والانحلال والأغانى والمراقص والخمور ، مما أدخلها العدو لتدمير قدرتهم على المقاومة والاعجاب بأساليب الغـرب فى الحكم والملك والبناء والزواج من الأجنبيات والانخداع لأهواء الخصوم ، واتخاذ بطانة من دونهم ، مما عجـل بهزيمتهم وتدمير بنيانهم ، ولا ريب كانت خسارة فقدان الاسـلام للأندلس خسارة كبرى فهى على حـد تعبير الاستاذ مقلد الغنيمى ، أضاعت الخط الامامى الدفاعى عن جانب من ديار الاسلام واتصد به خط الجزر الواقعة فى البحر الأبيض المتوسط التى كانت كلها جزرا اسـلامية بدءا من قبرص ومالطة وصقلية وسردانية وكورسـيكا وجزر البليار .

ومنذ أن سـقطت الأندلس انبرى البرتغاليون والاسبانيون فاندفعوا للسيطرة على العالم الاسلامى وداروا حول قادة افريقيا وآسـيا وارسـلوا بعثاتهم التبشيرية وبعثات الكشف التى قادها متعصبون متجبرون ، وتلاهم البريطانيون والفرنسيون والهولنديون .. ودخل العالم الاسـلامى مرحلة السيطرة الاستعمارية الحديثة ثم جاءت الحملة الصهيونية الخطيرة .

ما أحوجنا الى دراسة هذه المرحلة التاريخية من حياة المسلمين لمعرفة أسباب الهزائم ، وأن نأخذ العبرة البالغة ، التى تدفعنا الى مزيد من التمسك بقيمنا والحفاظ على ذاتيتنا وامتلاك أرادتنا واحياء فريضتى الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتحرر من الخطر الوافد بكل صوره ، هؤلاء الذين كانوا دائما يتحينون الفرص

للسيطرة والغزو والحيلولة دون امتلاكنا أو اقامة مجتمعنا الربانى .

ولكن بيت المقــدس وفلسطين اليوم هى الخطر الماثل الذى لا يجب أن نبعده عن وجداننا لحظة وان نلتمس لذلك حلا اسلاميا .

ويجىء الحديث عن الاندلس اليوم وقد فتحت أبواب الدعوة الاسلامية فيه مرة أخرى منذ سنوات والى أن يحين الاحتفال بمرور خمسمائة سنة على سقوط الاندلس بعد ثمان سنوات فاننا نتوقع أن تكون الجالية الاسلامية فى الأندلس قد تقدمت تقدما طيبا على طريق الله تبارك وتعالى .

وقد أثر فى السنوات الأخيرة تصريحا لمــدير المركز الاسلامى فى غرناطة قوله :

ان مؤتمرا عقد قال فيه أحــد القسس ان الصليبية سياسة وهى ضد الدين المسيحى ، وقد أباحت ما حرمه الدين كالتماثيل فهو حرام فى المسيحية أكثر منه فى الاسلام ولو جاء المسلمون كما جاء الفاتحون الأوائل لاستقبلناهم بالورود والنور فلم تهن مقدســاتنا الا بعد خروج هؤلاء المسلمين ومجىء الصليبية .

ولا شك ان الدور الذى قام به الاسلام فى الاندلس كان مجدا عظيما وهى صفحة بيضاء نقية جديرة بأن تبرز من جديد .

* * *

(٩)

رفض النموذج الغربى والتماس إسلوب العيش الإسلامى

يقول الأستاذ حسين البنا : ان اكبر مهام الفكرة الاسلامية اليوم هو مواجهة هذه الحضارة المادية وعدم الخضوع لها .

ويقول الأستاذ أحمد حسين ان المعيار الأساسى الذى ينبغى ان نفهم به فكر المسلم هو عداوته للنموذج الغربى بكل مستوياته وادراكه لعمق الصراع الحضارى بدائرتيه الاسلامية والعربية ، والنموذج الغربى بعنصريته واستعماريته .

وما يزال (الدين) هو نقطة التمايز الأساسية النموذجية الحضارية ، ان اخطر ما يواجهنا كمسلمين فى مرحلة الانتقال من اليقظة الى النهضة هو رفض النموذج الغربى وعدم الاستسلام لاحتوائه لنا : فاننا ننفرد بمثل وقيم وأخلاق تختلف تماما ، ان مفهوم الصحوة الحقيقى هو العودة الى المنابع ونقطة الانطلاق هى أن يعترف المجتمع بانتمائه الى الاسلام وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك .

ولما كانت حركة التغريب قد تمكنت من ضرب العمد الأساسية للاسلام والسيطرة على التعليم والثقافة من أجل التأثير فى العقيدة والشريعة واللغة والحضارة والتاريخ فاننا مطالبون الآن بترشيد اليقظة وتأصيل النهضة ، ورفض النموذج الغربى فى المجتمع والحضارة .

التمسك بالدين يقتضينا فهم الدين فهما اسلاميا فكلمة (دين) المعروفة الآن على كل الالسنة والأقلام ، والغربية المدلول انما تعنى اللاهوت أو تعنى (العبادات) وهى شطر الدين فى مفهــوم الاسلام الجامع فالدين فى الاسلام هو العلاقتان : بين الله تبــارك وتعــالى والانسان دين الانسان والمجتمع ، هذا هو المفهوم الذى يجب أن يكون الركيزة الأساسية للمفاهيم كلها فالاســلام ليس دينا عباديا ولكنه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع .

فاذا تحقق هذا كانت فكرتا العلمانية والحكومة الثيوقراطية (حكومة رجل الدين) مرفوضــة اساسا ولا يقرها مفهوم أهــل السنة والجماعة .

هذا الفهم الذى هو منطلق اليقظة الاسلامية منذ يومها الأول هو الذى بنيت عليه تلك القواعد الأساسية القائمة الآن والتى تحمل لواء الدعوة الى الله .

ان الطريق الوحيد الذى ينقذ أمتنا من الانهيــار مع انهيــار الحضارة الغربية هو التماس ذاتيتنا ومنهجنا واصرارنا على العودة الى المنابع وتأصيل السياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والفن والعمارة والتربية .

ان المطــروحات الثلاث التى طرحهــا الغرب علينــا اثبتت فشــلها .

١ ــ طرح علينا الفكرة القومية والفكرة الاقليمية وأفسدت مفهومنا للوحدة الجامعة وللاخوة الاسلامية .

٢ ــ طرح علينــا التعليم العلمانى فأفسد علينا مفهوم التربية الاســلامية التى تبنى الأرواح قبل العقول وتربط النفوس بخالق الكون قبل ان تربط أجسادنا بالاهواء والمطامع وطلب الرزق من أى مكان دون تحرى الحلال .

٣ — طرح علينا النظام الاقتصادى الربوى فاستنزف ثرواتنا وخلط بين الحـــلال والحـــرام فأفسد حياتنا الاجتماعية وفتح باب الاستدانة والترف والتحلل الاجتماعى .

اننا الآن نتوجه من العروبة الى الاسلام ، ومن النظام الربوى الى المصرف الاسلامى ومن اضطراب المجتمع الى أصــــالته ، اننا نتعرف اليوم الى خطر الترف والتحلل والاسراف فى المطعم والمأكل وزخرف الحياة الذى هو علامة بدء عصور التفكك والهزيمة ونرتجى أن تقوم دورة جديدة للحضارة الاسلامية ، نحن اليوم لا نتقبل واقع المجتمع ونبرره ، ولكنا ندعو المجتمع الى تصحيح أوضاعه وتغيير أعرافه واعادة صـــياغة المجتمع بالعـــزائم لا بالرخص وخاصة فى المعاملات الاقتصادية وعمل المرأة والفنون ووسائل التسلية ، لقد أنشأ الاسلام حضارة جديدة من خلال منهج حياة وبنى مجتمعا على أساس حدود الله ، وحقوق الله ، وتغليب الخير على الشر من خلال سنن المجتمعات ودوراتها حتى تصل الى الحق .

ليست ألاشتراكية هى العدل الاجتماعى وليست الديمقراطية هى الشورى ، لا بد من بيان الفوارق الدقيقة والعميقة بين منهج الاسلام الربانى (وبين المنهج الغربى البشرى) لا بد من التفرقة بين المعـــرفة والثقافة ، وبين الموروث والوافد ، وبين الجمـــالى والخلقى ، وبين مفهوم التقدم الاسلامى والتقدم الغربى .

لقد جمع الاسلام بين الالهى والبشرى ، والدنيوى والأخروى ، وبين أشواق الحياة ومطامح الروح ، وبين الأخذ بالأسباب وقبول قـــدر الله .

ولكن الاسلام فرق بين التغريب والتحديث ، فنحن نقبل من الحضارة معطياتها المادية كمواد خـــام لنشكلها فى دائرة فكرنا ولا نقبل الحضارة بمفهومها الفكرى او الاجتماعى ، ونجمع بين الوطنية

والعروبة والاسلام ، ولا نرى فى ذلك تعارضا أو تناقضا فهى حلقات يكمل بعضها بعضا .

ان الحضارة الغربية المعاصرة قد خرجت عن أمر الله واحكامه وحدوده ، فهى تنكر أول ما تنكر قدرة الله العلى الكبير وتضع بدل اسمه العظيم كلمة (الطبيعة) وهى لا تخضع ولا تسلم وجهها له ولكنها تعارض منهجـه فتسرف فى تبديد الثروات الموجـودة تحت الأرض وفى أعماق البحار تبديد السفيه وتهلكها فى مجالات الاباحة والفساد والترف ثم تتوجه الى أدوات الهلاك وتشن حربا على امن الانسانية وتضع واحدا من عشرة فى قمة الترف بينما تترك تسعة أعشار البشرية فى الفقر والجوع والمجاعات . هذه حضارة يجب أن تسقط ..

* * *

(١٠)

هزيمة الفكر البشرى وانتصار الدعوة الربانية

وصف الله تبارك وتعالى مهمة الدعوة التى حمل لواءها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأمرين هامين .

أولا : اخراج الناس من الظلمات الى النور .

ثانيا : ان هذا القرآن يصحح المفاهيم المنحرفة التى سبقت الاسلام وعاشت على مدى الأزمنة بين كل فترة وفترة من فترات الرسل .

اى أنه قال كلمته النهائية فى تحريفات رؤساء الأديان وأصحاب الفلسفات والنحل والمذاهب المادية من عبدة الكواكب والمادة والمنحرفين عن مفهوم الله الخالق الرزاق ، والمشركين والكافرين والملحدين جميعا .

وبذلك وضع القرآن البشرية كلها على طريق الله من جديد وصحح مفاهيمها وهكذا كانت مهمة الاسلام تصحيح العقائد والتصورات التى قدمها الفكر البشرى قبل ذاك عن طريق الأساطير والخرافات وأرجع العقل البشرى الى مكانه الطبيعى ، وكشف عن عجزه عن مقاومة نواميس الكون الدقيقة وكشف عن ان وراء قوى الطبيعةقوة الهية كبرى هى التىتحرك الكون ، كذلك فقد جاءالاسلام ليكون الفيصل فى العلاقة بين العقل والقلب رافضا مفاهيم الرهبانية

والتواكل والانصراف عن الحياة والتخاذل ، فى نفس الوقت الذى انكر على البشرية التحلل والترف والانصراف الى اللذات والأهــواء وكشف عن انها كانت مصـــدر انهيار الحضارات وتحطيم الأمم وأن الأمم التى تتخلى عن القوة والأعداء والمرابطة فى الثغور لا بد أن تدمرها الأمم المراقبة لها والطامعة فيها وان الأمم التى تعكف عن اللذات والشهوات تعجز عن حماية نفسها ولابد أن تسقط ليستبدل الله تبارك وتعالى بها أمما أخرى ليست مثلها واليوم تتجــدد هذه الاساطير كلها وهذه السموم التى هدمها ألاســـلام بظهوره وحرر البشرية منها ، تعود التلمودية لتجمعها من جديد وتبتعثها فى اساليب عصرية وصور لها طابع النظريات العلمية لتحطم الأمم وتفرض وجودها وحـــده على العالم بامبراطورية الربا فعلى المسلمين ان يكونوا على يقظة تامة من هذا الخطـــر المحيط بالفلسفات المادية والأساطير حيث تتعدد الدعوات الى فكر وثنى يونانى وفكر غنوصى شرقى فى أثواب الدعوات المختلفة والفلسفات الكلامية والصوفية لاسقاط الالتزام الخلقى ، واسقاط فريضة الجهاد واسقاط التكليف تحت أسماء براقة خادعة .

اننا مطالبون اليوم باحياء ميراث النبوة وهدم الفكر البشرى بوثنيته وماديته وانحرافه وتحلله .

لقـــد جدد الاسلام تراث النبوة الذى أنزله الحق تبارك وتعالى لهداية الناس الى الحق وكشف القرآن زيف تراث البشرية ، وعلينا ان نعمل فى نفس الاتجاه ، اننا نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة الفكر الاسلامى بعد ترجمة الفلسفة اليونانية ووثنيات الفرس والهنود ومجوسية وترفانا ورياح السموم .

وعلينـــا اثراء الفكر الاســـلامى بالتفسيرات الاســـمية وتحرير القيم وتصحيح المفاهيم ودفع معطيات الفكر الاســـلامى الى مجال التطبيق فى الحياة والمجتمع بأسلوب عصرى .

ونستفيد من المتغيرات فى مغالبة نواميس الكون وتغيير العادات والتقاليد والعودة الى أعراف الاسلام فى الأخلاق والاجماع والمرأة والأسرة وحماية العرض وحماية الكرامة والحفاظ على العقيدة .

ان أكبر اخطـــار النفـــوذ الأجنبى ــ فى الحيلولة دون تمكين الاســـلام من فرض منهجه ــ تلك المحـــاولة التى جعلها فوق كل مؤامراته والتى أعطاها اهتماما كبيرا وحشد لها مختلف الوســـائل والأدوات .

وهى تعميق الخـــلاف بين المسلمين واذكاء روح العنصرية الجنسية والتلبيس بين القيم التى يجمعها الاســـلام وتبدو فى ضوء النظرية الغـــربية مختلفـــة متعارضة : ان هناك محاولة لتعميق العنصرية والاقليمية وصراع القوميات وكان الهدف الأساسى ولا يزال هو تركيز النفوذ الأجنبية يقوم أساسا على تمزيق الوحدة الاسلامية التى كانت أكبر القوى التى وقفت فى وجه الغزو الزاحف ، ومن هنا فقد ركزت تلك القوى على مصدر الوحدة وهـــو الدولة العثمانية ووجهت اليها الاتهامات الكاذبة واعلاء شأن العنصر للحيلولة دون عودة الائتلاف .

أما العمل الثانى فهو تحطيم الشباب وتدمير القيم الأخلاقية فى نفسه وروحه ، كوسيلة الى هدم الأمة ، وذلك ببث وســـائل التحلل والاباحة والفساد ، التى ترمى الى تحطيم الأسرة والمجتمع ، وتغليب الفـــردية على الجماعية وازاحة الضـــوابط أمـــام عوامل المعاملات الاقتصـــادية والمالية وخلق روح الفتور والانعـــزال عن المجتمع والسلبية والفصـــل بين العقائد وتوهين الالتزام الأخلاقى وفهم الاســـلام فهما عباديا منفصـــلا عن تكامله كدين ونظـــام مجتمـــع .

هذان هما المدخلان الخطيران اللذان تنفذ منهم سموم الدعوات الهدامة فلنخص أنفسنا دونهما حتى نتحرر من هذا الخطر .

ان السر فى انتصار الاســـلام على كل العقائد والمذاهب انه يتناسق مـــع الفطرة ومـــع العقل ومع العلم بعيـــدا عن الخرافة والأساطير من ناحية وعن الفلسفة المادية التى تعلى العقل .

ولسوف ينهزم الفكر البشرى ما دام القـــرآن قائما بين أيدينا والنصر للفكر الربانى الذى جاءت به رســـالات الأنبيـــاء وختامها الاســـلام .

* * *

استقلاليــــــــة ذاتيـــــــة الإسلام

من أخطر القضايا التى تطرحها قوى التغريب والغزو الثقافى مجتمعة فى أفق الاســـلام اليوم هى محاولة تمييع مفهوم الاســـلام وصهره مع الأديان فى بوتقة واحدة تحت اسم (دين الله الواحد) بمقولة أن النصارى مسلمون واليهود مسلمون وان كل دين من هذه الأديان يعبد الله فهو اسلام .

هذه المقولة التى يذهب اليها خدام الحوار المسيحى الاسلامى الذى يراد به هدم **التميز الاسلامى الواضح** عن الأديان بوصـــفه الدين الذى احتفظ كتابه بالسلامة من التحريف ، والذى جاء ليصحح تحـــريفات رؤساء الأديان للكتب القـــديمة ، والذى يجلو الحقيقة الربانية ومفهوم التوحيد الخالص لكل صاحب فطرة سليمة يريد أن يتعرف الى ربه ودينه .

فلقد حملت النصرانية النظرة الفردية الى الانسان وعليها نشأ المنهج الليبرالى وقامت الحرية الفردية فى الاقتصاد الراسمالى والجنة والنار والعذاب والعقاب عندها مسائل معنوية والخطيئة المسيحية هى مصدر الفكر الفرويدى والوجودى ، كذلك فقد حملت الماركسكية النظرية الجماعية التى قام بهـــا عليها النظام الاشـــتراكى وكلاهما ليس ألاســـلام ، وانما الاســـلام منهج آخـــر ربانى جامع متكامل قوامه الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد ، واليوم تتصــــارع الثقافتان المادية والروحية فى العالم كله وتتصـــارع الجماعية والفردية فى

الغرب ، ويبقى الاسلام وحده هو القادر على اعطاء البشرية منهجا رحيما عادلا جامعا بين ثقافة القلب وثقافة العقل وهو يصهرهما فى بوتقة واحدة هى بوتقة اسلام الوجه لله .

ويربط الجانبان المادى والروحى لأنهما صادران من شخصية الانسان الجامع بين قبضة الطين ونفخة الروح .

هذا هو تميز الاسلام ، وهذه هى ذاتيته الخاصة ، وهذا هو مطمح الفطر السليمة والعقول التى درست وتبحرت فى المذاهب والعقائد والملل ، فقد أحست أن البشرية لن تسعد الا اذا رست سفينتها على ثغر الاسلام .

ومن أجل ذلك فان هناك محاولة لافساد مفهوم الاسلام فى بلاده وبين أهله وافساده فى الغرب أيضا باثارة الشبهات والسموم حوله ، والدعوى بأن المسلمين هم الآن متأخرون لأن دينهم مصدر تأخرهموكذبوا فقد أثرىالاسلام البشرية قبلالف عام وأعطاها المنهج العلمى التجريبى القائم اليوم ، وليس واقع المسلمين حجة على الاسلام بحال ، ان واقع المسلمين هو حصاد الغفلة والتقصير عن حماية الثغور وعن اليقظة ، والاعراض عن الله تبارك وتعالى وقبول خدع النفوذ الغربى وشهواته وسمومه وترفه العارض الذى يحطم العزائم ، فعلى المسلمين ان يتحرروا من التبعية لأسلوب العيش الغربى .

ومهما خدعنا الغرب بمقولة التخلف ، والتقدم فاننا لن نخدع .

فالقضية لدينا نحن المسلمين ليست قضية سباق على المتاع المادى ولكنها قضية استعادة حق وحماية جوهر ، اننا لا نضحى وجودها وذاتيتنا الخاصة وأصالتنا فى سبيل الحصول على تقدم مادى لا قيمة له ، اننا يجب أن نربى ابناءنا على الحفاظ على وجودنا وحمايته والدفاع عنه ومقاومة التحدى بالمرابطة وبمفهوم جامع

للتقدم هو التقدم المادى والروحى معا ، وسوف تنهار هذه الدعوات الضالة الى الحداثة والعصرنة التى تود أن تجعلنا عبيدا تابعين للأدب الغربى أو الفكر الغربى أو مخدوعين بما تحمله هذه المسلسلات والمسرحيات والأفلام من سموم وفساد ومفاهيم غريبة عن فكرنا الاسلامى الربانى المصدر الانسانى الوحيد العالمى الغاية ولن يكون التغريب منطلقنا الى التحديث فهما قضيتان منفصلتان ولنعلم ان قرية الاسلام الخطيرة البارزة هى :

(انه لا يقبل كل شىء) ولا يقبل بغير دراسة واستيعاب على قاعدته الأساسية فقد تكون العقائد الأخرى مرنة مفتوحة ، تنسجم مع اى فلسفة وافدة ولا تتصارع معها ، تقبل الرأسمالية وتقبل الماركسية وتقبل الوجودية ، وتقبل فلسفة الذرائع ، اما الاسلام فانه لا يقبل ما يتعارض مع أسسه وقيمه القائمة على التوحيد .

ولذلك فان نظام التعليم الغربى المطبق فى أغلب البلاد الاسلامية والنظام السياسى والنظام الربوى الاقتصادى عندما غزا البلاد الاسلامية المختلفة لم يحدث فيها قلقا وانما حدث القلق فى المجتمع الاسلامى لأنه يؤمن بوحدانية الله ولديه مفهوم للتوحيد الخالص لا يسمح له بأن يكون ولاؤه لأى مذهب غير الاسلام حتى فى أشد فترات الضعف والتخلف ، فسرعان ما اغلق المسلمون باب الاجتهاد حتى لا يفرض عليهم شيئا يخالف مفهومهم الأصيل ، ووقاية من العناصر الوافدة فكانوا بذلك حماة لعقيدتهم .

ومن ثم فانه لم يقع أى اضطراب ما بين النفوذ الأجنبى وبين اى دولة ليس لها منهج حياة ونظام مجتمع لانها استسلمت للمنهج الوافد ، وقبلت به ، اما فى عالم الاسلام فقد وقع الصدام بين الحضارة الغربية والمجتمع الاسلامى ولذلك سارعوا فصنعوا تلك الطبقة العصرية الجديدة حتى لا تكون مفاهيمها وعقائدها حجر عثرة عند تحقيق أغراضهم ، وكان هدفهم هو القضاء على الحمية الدينية

والعزة الاسلامية والايمان عن طريق الثقافة والصحافـــة ووسائل الاعـــلام وما تزال الحرب دائرة ولكن حـــركة اليقظة الاسلاميـــة استطاعت ان تواجه هذه السموم وان تكشف هذا الزيف وان تقف بالمرصاد لكل جولة جديدة ولا بد ان تهزم والنصر لكلمة الله العليـــا مهما طال التغريب .

* * *

(١٢)

الاخطار في وجه الاجيال الجديدة

أخشى أن يكون النفوذ الأجنبى قد استطاع خلال سنوات المحنة الكاسحة التى غرض فيها مفاهيمه وشبهاته المسمومة قد استطاع أن يغير (اعراف) هذه الأمة التى بناها الاسلام فأصبح المسلمون اليوم أسرى مجموعة من المفاهيم الفاسدة يتحركون خلالها فى حياتهم الاجتماعية ، ترمى حين تجمع أطرافها الى احتواء المسلمين فى حياتهم ويذلوا ويستسلموا لمنهج زائف وباطل من الحياة هو منهج التحلل ومحاصرتهم واخراجهم من عقائدهم وتقاليدهم وقيمهم حتى يخضعوا والطمع والشهوات والاهواء والبحث عن الدعة والترف والمتعة بانفاق الاوقات فى سماع الأغانى الخليعة ورؤية الأفلام المكشوفة ؛ وضياع أوقاتهم فى أهواء قائمة بين متابعة الماتش ومراجعة المسلسل وانهاك قواهم فى السهر والطعام الدسم ولذات الشراب والمخدر والقمار ، بيوتهم خاوية وأولادهم غرباء أشقياء يتساءلون عن مفاهيم الحياة فلا يجدون الا الأعداء الذين يلبسون ثياب الأصدقاء يدلونهم فينحرف الفتى وتسقط الفتاة ، وهم يظنون انهم يحققون رغباتهم ويؤكدون ذاتهم وبذلك يكون المجتمع الاسلامى قد بعد بعدا شديدا عن قيمه ومثله وعقائده واعرافه الحقيقية .

ذلك ان ما يطرح الآن من فلسفات ومفاهيم من خلال الثقافات والصحافةوالافلام السينمائية والمسرحيات والمسلسلات وكتب الأدب والقصص المترجم والمكتوب ، يوحى بأن هذه سموم كثيرة تطرح ويجرى بثها وتكرارها وثنيتها عن طرق مسلسلات واغان ودعوات

الى الرقص ورحلات مشتركة وابتعاث للغرب فى سن صغيرة ودون حصانة من دين أو خلق .

اولا : هناك محاولة اخضاع المسلمين لمعانى التخفف من التمسك بالقيم تحت ستار العصرية وعدم الجمود والبعد عن التعصب وانكار التطرف مع ان الاسلام وهو يدعو الى تقبل الجديد يدعو الى ما يتفق مع قيم المسلم دون ان يعارضها ولا يحول بينه وبين التمسك بقيم الدين والأخلاق ، ولا يسمح له بأى تنازل حول قبول سهرة حمراء أو كأس خمر أو اجتماع كاشف .

وتأتى هنا كلمات الحب بمعنى الجنس ، وقد أذلت هذه الكلمة واهينت ودمر معناها الأصيل فأصبحت صنو الفساد والاباحة والخطأ .

ثانيا : فهم الاسلام على انه دين عبادى ليس له علاقة لا بالنظم الاجتماعية ولا بالاخلاق فى محاولة لفتح الطريق امام المسلمين لقبول النظم المتحللة المادية ، التى تقبل الربا والحرام والاباحة .

وكسر توائم الحدود والضوابط التى قدرها الدين الحق على المسلمين والتساهل فى الفرائض ورفع التكليف باباحة الفلسفات الباطنية التى تتكلم فى كل هذا من اجل القضاء على تلك الارادة المصممة التى تواجه الجرام وتطلب الحق والعدل .

ثالثا : هذه الصورة من الأمن النفسى الكاذب ، بمحاولة خداع المسلمين عن ان أخطاءهم هى اخطاء المجتمع ، وان ازمات الربا والفساد الاجتماعى وتحلل الشباب انما هى قضايا عالمية ، واننا لا نستطيع أن نتخذ ازاءها موقفا خاصا ، كل هذا يوحى باسقاط المسئولية الفردية واحلال ما يسمى بالمسئولية الجماعية الوهمية مع أن الاسلام يقرر قيام المسئولية الفردية ، أما هذا الأمن النفسى الكاذب الذى يوحى بالانطلاق فى طريق الترف الوهمى فى مجتمعات

تعانى الفقر ، وتقترض ، وتقع تحت طائلة السيطرة الاقتصادية الغربية ، كل هذا يخفى خطرا شديدا مدمرا قد يتفجر فى أى لحظة فليس أمن الا الامن الذى دعا أليه الاسلام وصوره فى صورة الاعداد والمرابطة فى الثغور وبناء الأجيال على الاحشيشان والفدائية وحماية الأمة من أى عدوان خارجى .

رابعا : المقاييس المادية للحياة وللحرب والسلم ، وهى المقاييس التى تقوم على أن الأمم تعجز عن مقاومة أو استرداد الأرض ان لم تكن تملك قدر ما يملك العدو من عتاد مادى ، ناسين أو منكرين ذلك القدر المعنوى للعزيمة والايمان بالاستشهاد فى سبيل الله ، وهــو القدر الذى نصر به المسلمون فى كل معاركهم فقد كانوا دائما قلة فى العدة والعدد (تحت شعار قانون ربانى واضح) .

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »
فلنعد الى مقاييسنا فانها هى وحدها القادرة على حكم حياتنا .

خامسا : أخطر ما هنالك اننا أصبحنا خاضعين فى قضية فلسطين لمفاهيم الصهيونية فجعلناها قضية عربية بينما هى قضية الاسلام ، واليهود يحتكمون الى مفهوم أن اليهودية دين وجنسية ونحن ما زلنا نفرق بين الدين والسياسة .

واليهود يقيمون العلوم والتكنولوجيا بلغتهم الميتة منذ الف عــام ونحن ما زلنا خاضعين للغات الأجنبية فى العلوم ويحاول الغــرب احتواءنا فى دائرة نفوذه .

* * *

قصـــور المناهـــج الغربيـــة

مازلنا ننبه أولياء الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية الى محاذير الفكر الوافد تحت اسم الاستشراق أو كتابات التغريبيين أولياء الفكر المادى وخدامه والهدامين الراغبين فى تحويل تيار الكفر الاسلامى من وحدانيته وربانيته وانسانيته وعالميته الى الوثنية والانشطارية والمادية لاحتوائه واحتواء أهله وتذويبهم فى أتون العالمية والعلمانية والأممية .

وما زلنا نقول ان كتابات الغرب فى مسائل الاسلام وفى المسائل العلمية تتميز بثلاثة عوامل أساسية :

اولا : العجز عن الاستيعاب .

وذلك نتيجة تصور الفكر الغربى نفسه ومنابعه القليلة المحصول والقائمة على مفهـــوم وثنى للالة ، ومفهوم فردى انانى للانســـان والمجتمع ، ومفهوم قائم على سيطرة الحيوان أو الجنس (دارون — فرويد — ماركس) .

ثانيا : الوجدان المسيحى :

وهو وجدان يعجز عن التفرقة العميقة الواضحة بين الالوهية والنبوة وبين النبوة والشخصية الانسانية وبين مصادر الكتـــاب السماوى وهل هو من عند الله أو من عند الأنبياء .

ثالثا : طبيعة الاستعلاء الغربى على الأمم الملونة نتيجة الجنس الابيض وبناء الحضارة الحديثة .

ومع انكار فضل الأمم السابقة فى بنـــاء الحضارة وخاصة فضل الحضارة الاسلامية فى انشاء المنهج العلمى التجريبى ومنهج المعرفة ذى الجناحين .

رابعا : غلبة المذهب المادى على الفكر الغربى بشقيه وغلبة التفسير المادى للتاريخ الذى انهدمت معه المسئولية الفردية (دوركايم) والمسئولية الاخلاقية (فرويد) وانكار البعث والجزاء الأخروى والذهاب بالانسان ناحية واحدة هى الناحية المادية : المطعم (الماركسية) والجنس (الفرويدية) .

وانكار المفاهيم الروحية والمعنوية ، وعدم الفصل بين الدراسات الانسانية والدراسات التجريبية وتحكيم المنهج التجريبى فى الانسانيات .

خامسا : انكار مفهوم الدين الجامع بين العلاقتين مع الله تبارك وتعالى ومع المجتمعات ، وقيامه على مفهوم اللاهوت وهو العلاقة مع الله تبارك وتعالى وهى مصدر تقبل الفكر الغربى للايدلوجيات البشرية بينما يقدم الاسلام للبشرية منهاجا متكاملا بين «الميتافيزيقا» ومنهج الحياة ونظام المجتمع بكل تفاصيله ودقائقه .

سادسا : اقرار مفهوم الصراع بين العلم والدين وبين الأجيال وبين المادة والروح بينما لا يقر الاسلام هذا الصراع فقد نشأ العلم فى احضان الاسلام ، والأجيال تتلاقى وليس بينها صراع والمادة والروح تجتمعان فى دائرة واحدة كذلك فان الفكر الغربى يقف عند دائرة (التطور والمتغيرات) ويغفل عن الدائرة الأوسع وهى دائرة الثوابت وهى القيم والأخلاق والحدود والضوابط التى تجرى حركة المتغيرات فى اطارها هذه الخلافات العميقة الجذرية بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى يجب الحذر منها وعدم تقبل المعطيات الغربية لانها تهدم هذا المنهج الربانى الواسع الفسيح المرن القادر على تقبل متغيرات الحضارات والأمم والهيئات والعصور .

ان هناك محاولة لصرف المسلمين عن منهج حياتهم الاصيل الذى تعارفوا عليه وعاشوا به عمرهم وهو الذى حقق لهم النصر

عند الازمة والفرج بعد الشدة ، والخروج من الاحتواء والتخلص من السيطرة الخارجية .

هذه المحاولة يجب ان ينكسر قيدها وان تهدى انفسنا للعوامل الحقيقية التى عرفها اجدادنا عن طريق منهج القرآن ونور الاسلام الى مواجهة التحديات والخروج من المآزق وهى وسائل ثابتة اصيلة ربانية لايمكن ان تقع تحت مقولة كاذبة كقولهم فاتها الزمن لانها من الثوابت الحقيقية التى هدى الله تبارك وتعالى هذه الأمة اليها، والتى مازالت قادرة على العطاء الثرى .

انه فى مواجهة التحديات التى يفرضها التغريب والغزو الثقافى نتساءل : هل نقبل واقع المجتمع الاسلامى القائم ونبرره ، أم أن الاسلام حين يدعونا الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يطالبنا بتصحيح المفاهيم وتحرير القيم حتى تتحرك على طريق الله تبارك وتعالى فى ضوء القيم الأساسية التى قدمها لنا القرآن منهجا اساسيا وان مغيرات المجتمع الاسلامى تحتاج الى ثوابت الاسلام وان مواجهة ذلك يكون بالعزائم لا بالرخص .

وأهم ما يجب التحرز منه والتنويه بخطره هو الترف الفاسد وهو علامة بدء عصر التفكك .

اننا ندعو الى ثلاث :

أولا : (رفض النموذج الغربى) .

ثانيا : صد الذوبان فى حضارة المستعمر .

ثالثا : التماس اسلوب الجهاد الاسلامى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* * *

(١٤)

العــــودة إلـــــى المنابـــــــع

ان هذه الأمة يجب أن نعود الى الله .

هذا هو مفتاح حل مشاكلها ، فاذا لم تعد فانها ستظل تدور فى حلقة مفرغة كالثور المغمى حول الرحى ، ولقـــد جاءتها القوارع لتوقظها وجاءت الأحداث لتزلزل مواقع أقدامها لعلها تعود الى الله **(فلولا اذ جاءهم بأســـنا تضرعوا)** وقـــــد جاء البأس ولم يتضرع المسلمون وانما هم سادرون فى غيهم فكيف يمكن ان يأتى النصر ، ان النصر له طريق واحد : هو التماس طريق الله دون السبل التى تفرق بنا ، وهذه هى حكمةالموقف اليوم كله .

لا بد من عودة البشرية مرة أخرى الى المنهج الربانى بعد ان اضــــاء العالم الف سنة وبعد أن تخلت عنه مخدوعة بزخرف الفكر البشرى وأهوائه وشهواته .

اننا مطالبون بأن نعود الى الرؤية القرآنية ونستجيب لها ، فقد كان هدف الغزو الفكرى تدمير الرؤية الاسلامية القائمة على البعد الربانى الذى يستمد العون من الله ويلتمس نصرة الله فى كل خطواته والذى يتحرك فى حياته كلها فى اطار التماس رضوان الله والتوكل عليه والعمل على طريقه : (كل أمرىء يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) فنحن نبدأ يومنا بالصلاة والتماس رضوان الله والتوكل عليه ونمضى يومنا على طريقه نحل حلاله ونحرم حرامه ونسلك فى سبيل الكسب ما أمرنا به ، ونقيم حياتنا داخل المجتمع على مراقبته (الخوف

منه والرجاء فيه) وتقواه ، ونجعل سلوكنا الاجتماعى فى الحياة اخلاقيا ربانيا ، ولا نبالى بما فى المجتمع من تيارات ، ونتعرف على سنن الله فى الآفاق لتسخيرها وحسن التعامل معها وسنن الله فى الأنفس لتبريتها وتوجيهها صوب الهدف الاسلامى الأوحد .

(قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين)

فلا بد من صياغة الفرد المسلم على هذا الفهم ومن الفرد المسلم الى البيت المسلم وان تقوم علاقاتنا فى المجتمع على اساس الاخاء والتسامح والمناصحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان نظل مؤمنين بأن المسئولية الفردية هى اساس حركة الحياة ، وان الالتزام الأخلاقى فريضة واجبة .

ولنذكر ان حكمة الله تبارك وتعالى مضت مع ارتقاء العقل البشرى حتى وصل الى غايته فتقدم له الاسلام ، ومن اجل ذلك اشارت الكتب السابقة جميعا والأديان السابقة والأنبياء السابقون الى أن الغاية لا تتحقق الا بمجىء الدين الخاتم وان كل الدعوات والرسالات هى مقدمات لهذا الدين الخاتم .

وقد أتاح الله تبارك وتعالى للانسان السعى بحرية الارادة فى مقابل المسئولية والجزاء واعطاء جميع القواعد والضوابط والتحفظات والمحاذير التى تمكنه من المضى فى هذه التجربة بثقة وايمان فهل استطاع أن ينجح وان يحقق الهدف من امانة والتكليف ، وان يقيم المجتمع الربانى الذى كلفه الله به ووكله اليه .

الحقيقة انه حتى الآن قد فشل فشلا ذريعا لأنه نحى منهج الله تبارك وتعالى وحاول ان يصطنع منهجا بشريا عاجزا فاشلا ، لا يلبث أن يصطدم بالمتغيرات فينهار ويحتاج الى الاضافة والحذف وجرت المحاولة مرة ومرة ولم تحقق شيئا ، وبان له بأوضح دليل أنه ليس هناك غير طريق الله فهل يقتنع .

ان العامل الوحيد لوحدة المسلمين هو اجتماعهم على طريق الله فهو القادر على أن يوحدهم ، اما الايدلوجيات والقوميات فانهـــا مصدر الفرقة والصراع ، والحقيقة التى تحرر المسلمين والعرب من التبعية هى ايمانهم الراسخ بالمفهوم الاسلامى المشترك الذى جمعهم نحو هدف واحد ، وجعل أول أهدافهم حماية ذاتيتهم من الانصهار فى بوتقة العدو ، وحماية الحدود والمرابطة فى الثغور لحماية الأرض والعرض .

ان أخطر المخاطر هو هذا الازدواج الثقافى بين الفكر الاسلامى الربانى المصدر الانسانى الوجهة العالمى الاتجاه ، وبين الفـــكر البشرى الوثنى المادى الانشطارى الغارق فى أهواء النفس .

لابد ان يخضع الانسان للفكر الربانى ولا بد ان يسقط الفـــكر البشرى وان لم نفعل فان الله سيأتى بقوم اخرين ينقذون منهجـــه ونبوء نحن بالمسئولية والعقاب .

* * *

(١٥)

سمـــــــوم الاستشـــــــــراق

اصدق وصف للاستشراق هو ما وصفه به احد دعاة الاسلام بانه ليس علما بأى مقياس علمى وانما هو عبارة عن ايدلوجيةخاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق او مرتكزة على اوهام وافتراضات ، ذلك ان الدارس لاعمال المستشرقين لا يحتاج الى بذل جهد كبير ليرى تعمدهم تزييف الحقائق واللجوء الى منطق فاســـد للوصول الى نتائج تهدف فى النهاية الى رسم صورة مشوهة سقيمة عن الاسلام فى نظر القراء الغربيين والى زلزلة عقيدة الاسلاموتمييعها فى أعين ابنائها من المسلمين .

ان خدعةالاستشراق تبدو واضحة فى دعوى العلميةوالموضوعية والبعد عن الهوى بالاضافة الى فهارس الكتاب والجداول والملاحق والخرائط وكلها محاولات لدعم هذا الفن ثم تجىء المقدمات التىتشرح المنهج وبما قام به الباحث من جهد وسيلة من وسائل التمويه ولكن ما ان يبدأ الكاتب بحثه حتى تتكشف النوايا واضحة ، ان هنـــاك نية مسبقة وغرضا مبيتا ، ثم يجرى البحث عن نصوص تؤيده ، فاذا لم توجد تحرف النصوص ويقتطع منها جزء وتثار الشبهات هنا وهناك وان كانت النوايا صادقة فان العقائد مختلفة ، ووسائل فهم اللغة العربية والبيان العربى غير متيسرة لاصدار احكام صحيحة .

هناك فى مقدمة كل ذلك انكار الوحى والنبوة ، مع التقليل من

عظمة الأحداث ووصف الفتوح بالمطامع والاسترزاق ، واخطر من ذلك كله النظرة المادية فى عدم تقدير الجوانب غير المادة (المعنوية والروحية) للعقيدة واثرها فى الأحداث كالايمان والتضحية وبذل الروح والرغبة فى الموت فى سبيل الله ، كذلك فان من أخطر ما يحول دون الفهم وبالتالى دون اصدار الأحكام الصادقة فهم الاسلام على انه دين عبادة (لاهوت) وليس على حقيقته التى تختلف عن المسيحية واليهودية (دين ومنهج حياة ونظام مجتمع) .

وهناك الأهواء القائمة وراء تفســيرات التاريخ حيث يختلف التفسير الغربى المادى عن التفسير الماركسى عن التفسير الصهيونى وكل من هذه الأنواع الثلاثة يتخفى وراء كتاباته غايات وغايات .

ومن هنا صدق من قال ان المستشرقين لم يرو فى الشرق الا ماكانوا يريدون رؤيته وان دراستهم قائمة على وجهة نظر مضادة للمنظور الاســـلامى جملة ولقد كان تأثير اليهــود على الاستشراق قائما على انكار دور اليهــود فى التحريض على المسلمين فى غزوة الخنـــدق (مونتجمرى وات — مكسيم رودنسون — بروكلمان — شيولر — فيليب حتى — برنارد لويس) .

هذا فضلا عن استعمال الأسلوب الملتوى لتزييف الحقائق وهو أحد السمات البارزة المميزة لكتابات المستشرقين والدالة عليهم .

كذلك فهناك الفوارق العميقة بين المسيحية والاسلام فى كبريات المسائل كالالوهية والنبوة .

ومن ذلك احياء تراث الباطنية والمجوسية الزائف المنحرف الذى عرف عن السهروردى وابن عربى والحلاج ، فقد امضى ماسنيون أربعين عاما يجمع تراث الحلاج ومن ذلك اغراؤهم بعض الكتـــاب والشعراء على اعتماد مصادرهم فى ذلك كما فعلوا مع صلاح عبــد الصبور فى مسرحيته الشعرية عن الحلاج ، وكما اغروا الكثيرين

بالكتابة عن القرامطة والزنج ووصفها بانها ثورات عــدل اجتماعى وكذلك عن المزدكية والراوندية وغيرها من الفرق الضالة .

ولقد احب تراث الاستشراق كل ضال وملحد وفاسق من شعراء وكتاب العصور التى اختلطت فيها الفلسفات والشعوبيات بالفكر الاسلامى وكرهوا كل من حاول ان يصحح ذلك .

فالاستشراق لايرى فى اعلام الفكر الاسلامىغير العناصر الضالة والمنحرفة ويكره العناصر المستقيمة التى واجهت سمومه أمثال ابن تيمية ، والغزالى وابن حزم ، وما يكرهه الاستشراق هو الاصيل وما يتجاهله من الاعلام هم أصحاب الأقلام الكريمة الذين هاجموا التبعية للفكر اليونانى والشعوبية ، انهم يحبون الاعتزال والتصوف الفلسفىوالشعر الاباحى ويكرمون امثال ابى نواس وبشار ويكرهون المتبنى .

❋ ❋ ❋

تصحيـح وجــه الشبــاب المسلـــم

هناك مخطط للعمل على تحطيم وجهة الشباب وتدمـــير القيم الاخلاقية كوسيلة الى هدم الأمة الاسلامية وذلك بتثبيت وســـائل التحلل والاباحة والفساد التى ترمى الى تحطيم الاسرة الاسلامية والمجتمع الاسلامى وتغليب الفردية على الجماعية وازاحة الضوابط امام عوامل المعاملات الاقتصادية والمادية وخلق روح اليأس والفتور والانعزال عن المجتمع والسلبية واسقاط فريضة الجهاد والفصل بين العقائد والأخلاق وانكار المسئولية الفردية وفهم الاسلام فهما عباديا منفصلا عن تكامله كدين ونظام مجتمع .

ومن ذلك ما نراه اليـــوم والأمة الاسلامية تتجـــه الى تطبيق الشريعة الاسلامية وما نجـــده من تثبيط وتشكيك فى ضرورة ذلك واهميته .

ومن حيث تقبل الامة الاسلامية على المصرف الاسلامى وتنأى عن الأنظمة الربوية تجد الحملة الشديدة على المصارف الاسلامية واتهامها والتشكيك فيها .

ومن حيث نرى المراة المسلمة تتجه الى الله وتؤمن بالعودة الى البيت ورعاية الطفـــل والأسرة نجد تلك الصيحات الماكـــرة التى تنادى :

(لا تعودى الى البيت) .

أو ما يجمع من كلام امراتين خبيثتين تحت عنوانات عريضة

(المراة العاملة ترفض العودة الى المنزل) .

كل هـــذه محاولات القوى التغريبية يحتشد لها من هم على استعداد فى كل لحظة لاثارة الشبهات والسموم .

وما يزال التعليم هو الخنجر الذى يطعن به المسلمون وأبناؤهم وأجيالهم المتوالية فى المقاتل فهو الذى يوزع مشاعرهم وجهـــات مختلفة حتى لا يلتقى المسلمون على رأى موحد فى أمر من الأمور ، فاختلاف الثقافات والولاء لثقافة فرنسية او انجليزية أو امريكية ، ماركسية او ليبرالية ، هو الذى فرق الأمة الاسلا ميةشيعا .

فعلى المسلمين ان يلتقوا على مفهوم جامع وحقائق أساسية وليس غير كلمة الاسلام ، ان تقسيم المسلمين الى طوائف ونحـــل ومذاهب تتصارع هـــو هدف كبير يجب أن ننتبه له وأن نحذره وأن نلتقى على مفهوم الاسلام الأصيل الجامع وما يمكن أن يجمعنا على الوحدة الفكرية غير القرآن ، والوحدة الفكرية هى منطلق الوحدة الجامعة ، وشمول الاسلام يقبل الخلاف فى الفروع .

اننا فى حاجة الى العودة نحو المنابع ، والاصالة .

الشريعة الاسلامية بديلا من القانون الوضعى .

الاقتصاد الاسلامى بديلا من الاقتصاد الربوى .

الشورى الاسلامية بديلا من الديمقراطية الغربية .

الوحدة الاسلامية بديلا من القوميات والاقليميات .

اننا فى حاجة الى نظرة للامور من منظور اسلامى ، ان المنظور الوطنى والمنظور القومى والمنظور الماركسى ، كل هذا فرق وحدتنا ونال من ذاتينا الاسلامية والانتماء القرآنى .

أن هناك حقيقة ليس فيها ادنى شك وادلتهـــا موجودة ، هى تكاتف اعداء الاسلام على العمل وكل يضرب فى جسم الاسلام بمعاوله

يبدو ذلك واضحا فى تلك المؤتمرات التى تعقد فى كثير من الجامعات الغربية تحت اسم العلم أو الأدب أو التاريخ ويدعى اليها الحاقدون المتآمرون على الاســـلام وعلى رأسهم اساتذة الاستشراق فى العالم وعلماء متخصصون فى علوم الاجتماع وعلوم الانسان والسلالات ومن بينها مؤتمرات لاحتواء المسلمين الى التكنولوجيا الغربية حتى لايتحقق للمسلمين قيام نظام خاص بها منبثق من مفاهيمهم فى الحضـــــارة والعلوم والاجتماع .

ومن ذلك مؤتمر بليتمور الذى عقـــد فى أوائل الستينات لاعادة نشر تاريخ الباطنية والمجوسية مرة اخرى وعلى اثره ظهرت كتب كثيرة عن المزدكية والبابكية والفرق الضالة .

والظاهرة الجديرة بالنظر ان وجهة نظر الفكر الليبرالى الغربى هى المطروحة دائما فى مختلف القضايا المثارة فى المجتمع الاسلامى وهناك أيضا وجهة نظر الفكر الماركسى والاشتراكى ، أما وجهة نظر الفكر الاصيل صاحب الحق الأول فى عقول وقلب ابناء الاسلام وهو المفهوم الاسلامى لهذه القضايا فهو بعيد ، فهو غائب ، فهو مجهول فهو محجوب عن مجال الدراسات فى الجامعة ، فى الصحافة ، فى الثقافة .

واذا ظهر ظهر ضعيفا متخفيا لا يأبه له احد .

وبالرغم من سقوط التجربة الضـــخمة التى مرت بها مفاهيم القومية والاقليمية وعجزها بالرغم مما توفر لها من الوسائل عن ان تقدم أسلوبا للحياة الاجتماعية والسياسية فان هناك من لا يزالون يدعون اليها ويجددونها .

وهناك دعوات الى الفصل بين الأدب العربى والفكر الاسلامى فى محاولة ماكرة للحيلولة دون نماء الأدب فى اطار اخلاقيات الاسلام الأساسية القائمة على حماية الأسرة ومسئولية المرأة لبنيها ، وهناك

الفصل ايضا بين اللغة العربية والفكر الاسلامى ، وهناك الفصل بين الدين والدولة ، وهناك القانون الوضعى بدلا من فقه المعاملات والاقتصاد الربوى .

وهناك انتقاص التراث من حيث هو عامل من عوامل بناء الأمة واحساسها بذاتيتها ، وانتقاص التاريخ من حيث هو مرآة البطولات الاسلامية وهناك محاولة تزييفهما (التراث والتاريخ) لاعادة كتابتهما وبعثهما من وجهة نظر التفسير المادى للتاريخ والهدف كله ترويج الالحاد والوثنيات .

* * *

الوراثـــــــة والبيئـــــــه

فى العصر الحـــديث وتحت سيطرة انحراف الحضارة تنحرف وجهة العلوم الاجتماعية والنفسية والاخلاقية حين تتحدث عن حتمية مفروضة على المجتمعات دون قدرة المصلحين على تحـــريرها من الانحدار نحو الرذيلة والفساد والانحراف تحت اســـم ما يسمونه المسئولية الجماعية اى مسئولية المجتمع ولكننا نحن فى محيطالاسلام لا نقر هذه النظرية لان علوم النفس والاخلاق والاجتماع الاسلامية تقـــوم على عاملين اساسيين همـــا المســـئولية الفردية والالتزام الأخلاقى .

ومن وراء ذلك الحساب والثواب والعقاب فى حياة أخرى حيث يقوم الناس لرب العالمين ليشهدوا صفحات اعمالهم .

فليس هناك مسئولية تناط بالمجتمع ، وليس هناك عمل معين كالخطيئة يتحمله البشر جميعا ، حيث لاتزر وازرة وزر اخرى كذلك فان الاسلام قادر على تحرير النفس الانسانية من اخطاء الوراثة والبيئة ، وهذا هو عطاء الدين الحق الذى ارسل به الأنبياء لتحرير الانسان من انحرافات البيئات أو الوراثيات واننا نجد فى عـــلوم العصر صفحات مطولة عن تأثير البيئة او الوراثة وجدل واسع حول أيهما ابعد اثرا واكبر خطراً .

أما الاسلام فانه يستطيع أن يخلص الانســـان من آثار البيئة والوراثة فليست اثار البيئـــة والوراثة حتميـــة ملزمة أو جبرية

مفروضة ، ولكن التربية والتزكية والقدرة على التحكم فى الأمـــور (عزم الأمور) ومخافة الله تبارك وتعالى والرغبة فى رضاه ، تستطيع أن تغير العادات وتحطم الاعراف المنحرفة ، وتقضى على آثارها وتحول الانسان الى كائن قادر على الصبر والصمود مفطوم عن الهوى والشر ، منصرف عن الجريمـــة والفساد ، بل وتجعله قادرا على معارضة الشر الكامن فى نفسه والأهواء التى تتصدى له .

وليس هناك فى الاســـلام قبول بالجبرية تحت اســـم مسئولية المجتمع أو العقل الجمعى ، وغيرها من زيوف المدرسة الاجتماعية التى تريد أن تحطم مفهوم المسئولية الفردية ، أو تقول بأن المجرم غير مسئول لأن تركيبه النفسى أو البيلوجى (الصادر عن وراثياته واثار البيئة فى مطالع شبابه) هو مصدر انحرافه ، كل هذا هباء لا قيمة له ازاء مفهوم الدين الحق القادر على تحويل الانسان الى الخير وتمكينه بالتقوى من السيطرة على غرائزه واهوائه وتفتح له باب التصبر والتحكم فى مواجهة أهواء الحياة .

وقـــد تبين ان هذه الدعوة الى تبرير أعمال المجـــرم وتعليلها المجال للجريمة والفساد وفتح الباب امام الناس لتذهب مع أهوائها بالتركيب العصبى أو الجسمى ضلال فى ضلال ، يراد به افســـاح كل مذهب ، ولمقاومة دعوة الأديان الى الخلق والفضيلة ، ان اخطر مايواجه المسلمين هو خلو العمل من الاتجاه الى الله هدفا ومطلبا أن غيبة الوجهة الربانية من أعمال المسلمين هى التى تفتح البـــاب واسعا لتبرير الفساد والخطأ بالمسئولية الجماعية الباطلة .

وصدق الله العظيم **(وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)** .

(١٨)

ولتعرفنهـــم فى لحـــن القـــول

ان هنـــاك حقائق أساسية لابد ان تكون موضع نظـــر مثقفينا وشبابنا ، انه اذا كان هناك فكر ماركسى وفكر غربى على الساحة اليوم ويدرس فى بعض الجامعات وتفرض ثقافته عن طريق بعض الصحف والمجلات والأفلام السينمائية فان هناك فى الحقيقة (الفكر الاسلامى) : الأصيل صاحب الحوزة الذى ثبتت جذوره فى هـــذه الأرض وفى هذه القلوب اربعة عشر قرنا وهو السابق لكل نظـــرية زائفة يقدمها الفكر الغربى أو الفكر الماركسى ، وقد قـــدم منهجه الربانى الانسانى العالمى منذ ذلك الوقت ولا يزال غضا طريا ، قادرا على الاستجابة لكل ظروف المجتمعات والبيئات مهما تغـــير الزمان وتطورت مظاهر الحضارة والمدنية .

وان المسلمين هم الذين قدموا للبشرية منهج العدل والرحمة والتوحيد الخالص كما قدموا المنهج العلمى التجريبى ، ومنهج المعرفة ذى الجناحين (روح ومادة وعقل وقلب ودنيا وآخرة) .

كل ذلك يجب أن يكون واضحا فى ذاكرة ابنائنا وهم يواجهون تلك المطـــروحات الوافدة التى يكتبهـــا المستشرقون والمبشرون ثم يرسلوا بها الى فلان وفلان ليضمنها كتاباته ايمانا منهم بأن الكاتب العربى أو المسلم اذا حمل جرائيم الفتنة وسموم التغريب فانه يكون قريبا الى قومه وأهله .

أن ما يكتبه هؤلاء مهما نشر فى صحف ذائعة وذات شهرة ومجلات

براقة لا يخدعنا ، وانه ليس الا وجهة نظر مستمدة من ثقافة مختلفة وافدة وتجربة قليلة ، وهى كتابات مدخولة فيهـا كثير من الغش والتدليس لأن أصحابها يحقدون على الاسلام ويستفيدون بجـاه الخصوم ، ومن ثم فانها لا يمكن ان تمثل منهجا عاما ولا فكرا نافعا للمسلمين ، خاصة وان هؤلاء الكتاب هم من ثمار المدرسة العلمانية الغربية وانهم مع الأسف لم يطلعوا على وجهة النظر الاسلامية فى مختلف أمور الاجتماع والفكر وان على القارىء المسلم المثقف ان يقرأ الى جانب ذلك وجهة نظر الاسلام الأصيلة عند كتاب آخرين .

نحن لا نصادر كتابات الكتاب ولكن ندعو الى قراءتها بحذر وان تكون لنا خلفية واضحة وتقدير كامل لهؤلاء الكتاب وتاريخهم ووجهتهم وهل هم من خدام الدعوة الاسلامية أم من أعدائها وهل هم مؤمنون بالنبوة والوحى ، قابلون لتطبيق الشريعة الاسلامية أم انهم مراوغون مناورون يقيمون فكرهم على التمويه واخفاء السموم وراء قفازات من حرير ، ودعاوى باطلة .

ان هدف النفوذ الغربى الواضح الآن والذى تأكد هو :

اخراج المسلمين من منهج حياتهم ، وسد الطريق بينهم وبين تاريخهم وعقيدتهم وماضيهم وتراثهم ، هذه المحاولات الواضحة التى تجريها مؤسسات كثيرة ترمى الى عـزلهم عن فكرهم وقـرآنهم ، وادخالهم فى دائرة الأميـة الغربية وازالة التميز الخاص والذاتية الاسلامية والانصهار فى بوتقة ما يسمونه (الحضارة العالمية) ولكن المسلمين يؤمنون بالحفاظ على الكيان (العقيدة -- واللغة والتاريخ) ايمانهم بالله تبارك وتعالى ، فهى جزء من هذا الايمان استبقاء لعامل القـدرة على المقاومة والمرابطة والاسـتعداد والاعداد لمواجهـة أى غزو خارجى .

ان فريضة الجهاد فى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر هى جــزء من عقيدة هــذه الأمة ، ولا بد من اســتمرارها وتأكيدها .

لقد حرص الغــرب على تكوين نخبة مثقفة تدين بالولاء له وكرست هذه النخبة جهودها لاضفاء الشرعية على المفاهيم الغربية، للتشكيك فى ثوابت الشريعة الاسلامية ، أو التمويه والخداع بخلط الاسلام بالفكر الغربى ، ديمقراطى أو اشتراكى .

يجب ان يعرف العلمانيون العــرب ان هناك مقاييس جديدة قد طرحها الفكر الاسلامى فى النظر الى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ يختلف اختلافا واضحا عن تلك المفاهيم الوافدة ، مستقاه من الفطرة الأصيلة ومن القيم الأساسية التى عرفتها أمتنا من أربعة عشر قرنا بينما لم تعش المفاهيم الوافدة أكثر من مائة عام .

اننا امــة واعية فطنة غـــير خادعة ولا مخدوعــة تستفيد من تجارب الآخرين ولكنها ترى أن منهجها الربانى هو أصدق منار لها ، وأمامنا اليوم تجربة العلمانية التى طبقها الغرب فى مجتمعه وقــد فسدت وفشلت وحطمت الكيان النفسى الانسانى لأنها عزلت الانسان عن شطره الروحى والمعنوى ووكلته الى جانبه المادى بشــهواته وتدميره .

* * *

فلنحـــــــــذر التبعيـــــــــه

اساس التغيير فى التصور الاسلامى هو ترك طريق اهـــواء البشرية الى التزام طريق النبوة فى الحركة والهدف . وهو تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى باقامة المجتمع الربانى واصطناع أسلوب النبوة فى التغيير الاجتماعى ، وهو التربية وتصحيح المفاهيم والتجمع تحت راية (وحدة الفكر) المستمدة من التوحيد الخالص والتى هى مقدمة للوحدة الاسلامية الجامعة ، على أن تتحرر الغاية وتبرأ من مطامع الوصول الى الحكم أو السيطرة على السلطان ذلك أن المسلم الداعية الى الله لا مطمع له فى شىء من زخرف الدنيا وليس فى حاجة من جزاء على عمله ، وهو يفهم المجتمع الاسلامى على أنه :

مجتمع عطاء دائم وليس مجتمع اخذ ولا مطالبة بأجر .

مجتمع واجبات وليس مجتمع حقوق .

مجتمع هداية وليس مجتمع مطامع .

مجتمع ايثار وليس مجتمع أثارة .

وان يمتد العمل فيه على هـــدف الاحتساب لا تحصيل الأجر .

وقد أعطى الاسلام النفس الانسانية الانتماء وحال بينها وبين الاغتراب واعطاها الايمان والأمن وسكبته النفس والرضى وحـــال بينها وبين التمزق .

(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس)

ان هذه المرحلة هى مرحلة الوعى والكشـــف عن النـــوايا والأهداف والمطامع .

والتحرر من عمليات الاحتواء التى ترمى الى صهر المسلمين فى بواتقها والايمان بأن اسلوب العيش الاسلامى هو أصلح الأساليب لحياتنا وليس مطلوبا منـــا فى هذه المرحلة الدقيقة من حيـــاة امتنا الا الثبات على كلمة الحق فى مواجهة هذه التيارات الهوج المتدافعة من الشمال واليمين تود أن تنال من قيمنا ومن دعوتنا ومن البذور النابتة التى لا تزال عارية الأغصان حتى تقوى على الاحتشاد فى وجه الخطر .

نحن معنا قضية كبرى وأمانة عظيمة وضعها أبرار اليقظـــة الاســـلامية فى أعناقنا وعاهدونا على حملهـــا والدفاع عنه ونحن ندافع عنها منذ حملنا القلم والى المقبرة لا نتخلى عنها لأنها قضية لا تتوقف ولا تنتهى وستظل قائمة ما قام الاسلام ، تلك هى مواجهة التحديات والكشف عن الزيف وتصحيح المفاهيم وتحـــرير القيم ، وهى نفس القضية التى حمـــل لواءها أعـــلام كثيرون حين حاولت الفلسفات اليونانية والفارسية احتواء الفكرة الاســـلامية وتزييفها وتذويبها فى الفكر البشرى ، واعلاء شأن الفكر اليونانى الوثنى فى القديم والآن الفكر الغـــربى بأجنحته الثـــلاثة (ليدرالى وماركسى وتلمودى) وهو جماع الفكر الوثنى المادى الزائف الذى طرحته فى أفق الاسلام القوى الكبرى التى تتطلع الى ان تصهرنا فى بوتقتها .

فعلينا أن ننقى الفكر الاسلامى من التبعية ونحميه من الاحتواء والسقوط فى الاحتواء : سواء أجاءت من الفكر الغربى أو من الفكر الباطنى وهى التى تحاول اسقاط التكليف واسقاط فريضة الجهاد وتغليب جبرية التصـــوف وما نســـمع عنه الآن مما تبث ســـموم الماســـــونية والقاديانية والبهائية والمهاريشى والروتارى والليونز وغـــيرها .

ومن ناحية أخرى فنحن نعرف الآن كيف عجزت الحضـــارة الغربية عن حمل امانة العدل والرحمة والاخاء البشرى ، واستبدلت بذلك خوفا وتمزقا وجزعا حالّ بين النفس والانسان وبين ســكينة القلب وجرت كل مجرى فى سبيل تقديم منهج حياة بشرى بين الفردية والجماعية والراسمالية والاشتراكية فى عدد من الايدلوجيات التى تبين فسادها وعجزها عن العطاء ولذلك فقد كان على البشرية أن تعود مرة اخرى الى منهج الله تبارك وتعالى فهو وحده القادر على العطاء .

أما الاسلام فقد اثبت بالتجربة خــلال أربعة عشر قرنا انه اصلح النظم العالية فقد بقى شامخا بينما تداعت النظم الراسمالية والاشتراكية ولم يمض عليها الا القليل ، فالنظام الاسلامى قد نجح فى وجــه المتغيرات الاجتمــاعية قرونا طويلة وأقام دولة عالمية من حدود الصين الى حدود نهر اللوار ذات ســيادة عالمية بكفاءة تامة واثبت صلاحيته فى جميع الأحوال ولا غرابة فى ذلك فان أســـاسه نزل من رب الخلق والكون وقد وضعه جل شأنه فى احكام قادر على مواجهة العصور المختلفة ، فان النظام الراسمالى لم يستطع تحمل قيام الثورة الصناعية وادى ذلك الى الانفجار الشيوعى واليــوم يطالب الغرب بنظام جــديد غير الراسمالية والشيوعية وليس غير الاســـلام .

* * *

(٢٠)

العروبـــــة والإســــــلام

ان تجربة الفكر القومى الذى مرت بها البــلاد العربية يجب معاودة دراستها وتقدير نتائجها وأثارها ، ومعرفة الأسباب التى أدت الى عجزها عن تحقيق أى غاية لها فى مواجهة الأخطار التى قاومت التحدى لها ، لقد بدأت فكرة القومية على أثر التحدى الخطير الذى واجهه العرب والمسلمون .

(أولا) : بسقوط الخلافة الجامع الأول بين المسلمين .

(ثانيا) : بالهجمـــة الصهيونية على فلسطين واحتلالهـــا ، كل هذا كان مدعاة أن يتجمع المسلمون والعـــرب تحت لـــواء جديد فى مواجهة الخطر ، غير ان القوى الكبرى استطاعت أن تحول هذا التيار من طريقه الطبيعى الى وجهة فرغته من اهدافه ومضامينه الحقيقية ، فهى قد طرحت مفهوما غريبا للقومية تختلف عن مفهوم العروبة فى علاقتها بالاسلام ومن ناحية اخـــرى فرضت أن تكون قضية فلسطين قضية عربية مع أنها قضية اسلامية فى الأساس ، وقد جاء ذلك بعد أن استشرت موجة الفصل بين الدين والدولة ، وغاية مفاهيم الفكر الليبرالى والفكر الماركسى وكلاهما ينظر الى الاسلام على أنه دين عبادى لاهوتى كما تنظر الى المسيحية ، مع ان الاسلام فى حقيقته دين ومنهج حياة ، واذا كانت القوميـــة قد تعارضت فى الغـــرب مع المسيحية فان (العـــروبة) لا يمكن أن تتعارض مع ألاســـلام لأنها وليدته ولأنه أفســـح صدرا لمفهـــوم

القوم والأمم والشعوب والقبائل فهو لا ينكرها ولكن ينكر استعلاءها بالعنصر ، وهو يسلكها فى اطار الاخوة الاسلامية ويفتح الآفاق أمام المسلمين جميعا تحت لواء (لا اله الا الله) دون أن يفقدوا تميزهم الخاص كأمة ، ولكنه يرفض تماما ذلك الاستعلاء بالعنصر أو الجنس أو الدم الذى كان سائدا قبل الاسلام وجاء الاسلام ليهدمه ويقيم الوحدة الاسلامية الجامعة .

وفى هذا نجد عبارة الدكتور عمر فروخ صادقة وأفية تماما حيث يقول :

(ان العرب لم يصلوا عن طريق القومية الى الأمل الذى ارادوا تحقيقه كما انهم كانوا مخطئين فى جميع ميادين حياتهم السياسية والاجتماعية عند ما تركوا الاسلام الذى نهض بهم من قبل ثم تبدلوا به نظريات قومية أو سياسية انحدرت بهم الى حيث هم الآن ومن العرب من يقول انه يسير سيرا قوميا عربيا ولكنه فى الحقيقة يجرى جريا أجنبيا أمميا ، انه يعتقد أن السير فى جانب نافع وفى الجانب الآخر ضار مع ان الجانبين سواء ، هما مختلفان مع التسمية ولكنهما متفقان فى المبدأ أو المنتهى ، ان كثيرا مما نسميه قوميات كانت من غايته تقسيم البلاد العثمانية بين الدول الغربية ، واذا كانت الدعوة الى قومية عربية دعوة صحيحة غايتها كما قيل توحيد البلاد العربية واستعلاؤها فلماذا نجد البلاد العربية اليوم اكثر من عشرين دولة قل أن تجد دولتين منها على وفاق .

والحقيقة ان الفكر القومى قد ترهل بعد أن أجهضت مكاناته بعد ان استهلك نفسه فى تجربة لم تحقق شيئا كثيرا لأنها لم تصدر عن أصالة الفهم لحقيقة مفهوم الاسلام للعلاقة بينه وبين العروبة ، وقد حدثت هذه الهزيمة للفكر القومى لأنه اتخذ طريق التبعية وتجنب طريق الأصالة ، وكذلك عجزت تجربة الاشتراكية وتجربة الاقليمية، وستسقط كل تجربة تحاول أن تحتوى المسلمين لأنها ليست صادرة عن حقيقة فهم لواقعهم ولخطهم الأصيل الذى بناه القرآن لهم .

ان المسلمين لهـــم مقاييسهم التى بناها لهم الاســـلام فاذا تخطوها الى مقاييس اخرى واعتنقوها فشلوا واحســـوا بالتيه ، فلا يصلح امرهم الا اذا عادوا الى اصالتهم وقيمهم .

ومهما تحاول بعض الجهات اعادة مفهوم القومية العلمانية مرة اخرى ولكن ذلك عهد مضى ومرحلة تخطاها المسلمون اليوم بعد ان احسوا **بالهزيمة والنكسة** واحســـوا ان مصـــدر ذلك هو مغايرتهم للأصالة وللقيم الحقيقية التى بناها لهم الاسلام .

فلا بد من العود الى المنطلق الأصيل : عن مفهوم صـــحيح للعلاقة بين العروبة والاسلام .

* * *

(٢١)

محاولات لتغيير الهوية الإسلامية

يجب أن تكون هنـــاك قاعدة أســـاسية معروفة ، ان للفكر الاسلامى مقاييسه الخاصة فى أمور الثقافة والبحث العلمى والتاريخ وان هذه المقاييس تختلف اختلافا واضحا عن مفاهيم الفكر الغربى لأنها مستمدة من القيم الأساسية للاســـلام وهى القيم التى عرفتها أمتنا منذ أربع عشر قرنا اقتحمت المفاهيم الوافدة آفاق فكرنا منذ مائة عام فقط وهى لم تجد قبولا ولا تقبلا .

ان ما يكتبه هؤلاء التغريبيون هو وجهة نظر قاصرة مستمدة من ثقافة مختلطة وافدة وتجربة قليلة ولا يمكن أن تمثل منهجا عاما خاصة وان هؤلاء الكتاب من ثمار المدرسة العلمانية الغربية قد قصرت ثقافتهم على فتات الموائد وانهم مع الاسف لم يطلعوا على وجهات النظر الاسلامية فى مختلف أمور الاجتماع والفكر وان على القارىء المسلم المثقف أن يقرأ الى جانب هذا وجهة النظر الأخرى الأصيلة الاسلامية عند كتاب آخرين .

هناك تيارات ثلاثاليوم واضحة فى تفسير التاريخ وتحليل قضايا المجتمع .

يتجاهل الكتاب ابرزها واقدمها وابعدها اثرا فى مختلف أوضاع المجتمع والنفس والأخلاق والتربية والاقتصاد وهو التيار الاسلامى الذى قام عليه بناء هذه الأمة أساسا والذى لم يكن غيره قبل وصول طلائع النفوذ الأجنبى حاكما ومرشدا وهاديا .

ولقد جاء النفوذ الأجنبى يحمل تيار التغريب والغزو الثقافى ليفرض أسلوبا جديدا قائما على الفكر الوثنى والمسيحى والمادى ويهدف الى احتواء مفهوم الاسلام بهدف أساسى صريح هو :

« تغيير الهوية الاسلامية »

واحتواؤها وازالة شوكتها ، والقصد من شأن الفريضة المتمثلة فى الجهاد شريعة الله الماضية الى يوم القيامة والقضاء على ذلك الطامع المتميز الأساسى الذى فرق الله به بين المسلم وبين الأديان والنحل المختلفة .

وتلك قضية قديمة حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابراز اهميتها واضفاء طابع الذاتية الاسلامية الخاصة على صحابته والمؤمنين بدعوته والاحتراز من التشبه بالنصارى واليهود فكان له توجيهاته صلى الله عليه وسلم فى شأن اللباس والطعام والمشى والحركة والنوم ومواجهة الأحداث سواء منها المطر أم حركات الكواكب أو طلوع الشمس أو غروبها أو الأعاصير ، وقال صلى الله عليه وسلم فى ذلك الكثير مما هو جدير بأن يجمع فى سمت واحد ، كذلك كان موقفه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للكتب السابقة وكيف غضب عند ما حمل عمر بن الخطاب ورقة من التوراة وقال صلى الله عليه وسلم فى صراحة واضحة :

« لو عاد موسى عليه السلام لما وسعه الا أن يتبعنى »
وكان معنى هذا ان الاسلام ذاتية واضحة تخالف عادات وتقاليد صنعها الناس بعيدا عن توجيه الدين المنزل وعرفت بأنها تقاليدهم اعلوها على وحدة الدين وجعلوها أشبه بالقومية أو الأممية ، ولو لم تكن لأسلمت الكتب السماوية الناس جيلا بعد جيل ، الى الدين الخاتم ولو شاء ربك ما فعلوه .

ونحن نرى اغفال التيار الاسلامى فى كتابات العصر ، وفى

دراسة قضايا العصر ، وفى تحليل التاريخ الوطنى والقومى ، وفى التلبيس بين القومية (العروبة) والاسلام فى مختلف القضايا .

كذلك فان المسلمين يقفون موقفا واضحا من الاقتباس من الغرب والحضارة الغربية فلم لا يرغبون الا فى اقتباس العلوم أما أسلوب العيش فللمسلمين اسلوب عيشهم ، وبالنسبة للفكر الغربى فان العلم عالمى والثقافة خاصة لكل أمة ، كذلك فلا تؤخذ العلوم من الغرب على انها التطبيق الوحيد وانما تؤخذ على أن تكون بمثابة (مواد خام) نشكلها فى دائرة مفهومنا الاسلامى للعلم والحضارة ولسنا نرغب فى أن تحتوينا دائرة التكنولوجيا العالمية فننصهر فيها ونكون جزءا من هذا النظام العالمى الاقتصادى والاجتماعى ، ذلك لأن لنا فى الاسلام مفهوما مختلفا بعيدا عن الاحتكار والربا والعنصرية واعلاء شأن الجنس الأبيض والسيطرة على الآخرين ، اننا نود أن نترجم العلوم الى اللغة العربية أولا ثم نشكلها فى دائرة فكرنا واطار مفهومنا للعلوم ، وليس فيها استعلاء ولا تسلط ولا تحيز لجنس أو طائفة وانما هما ملك للبشرية جميعا .

وهى ليست من ناحية أخرى مهددة لكيان البشرية بالذرة أو غيرها ولكنها للأمان والنماء والخير .

ان هناك محاولات لاحتوائنا فى دائرة العلوم الحديثة أو التكنولوجيا حتى لا تكون لنا حضارتنا المستقلة وصناعاتنا الثقيلة الخاصة ، وحتى نكون تحت رحمة الحضارة الغربية — طعاما ودفاعا عن النفس — فاذا قبلنا ضاعت ذاتيتنا وانصهرنا فى بوتقة حضارة تلفظ أنفاسها .

فلنحـــــــــذر الزيـــــــــف

منذ فجر التاريخ وظهور الأنبياء من لدن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم وقد عاش تياران :

أولا : تيار الدعوة الربانية ، تيار النبوة باخلاقياته ورحمته ومحبته وايمانه بالتوحيد الخالص .

(ثانيا) : تيار الفكر البشرى بوثنيته واباحياته وسـمومه واهوائه ومطامعه ان تصحيح العقائد والقيم والمفاهيم كانت احدى مسئوليات النبوة .

وقد جدد اسلام تراث النبوة كله فى القرآن وقدمه مرة أخرى من خـلال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجـه أنظارنا الى صفحات مشرفة من الجهاد والنضال والكفاح التى قام بها الأنبياء فى سبيل اعلاء كلمة الله .

كما كشف زيف الفكر البشرى ودعواته المختلفة سـواء من نظريات الفلاسـفة الباطلة أو تحريف الأديان أو تكذيب الرسـل أو ظهور الفسـاد فى البر والبحـر ، وقدم لها دحضـا واضحا صريحا لمفاهيم الكفر والالحاد والاباحة والتثنية والوثنية والتعدد . فى أسلوبه الرائع ومنهجه المشرق الربانى .

وكان علينا أن نعمل على نفس الطـريق تحت اسم صيحة اليقظة بعد أن جدد التلموديون والشعوبيون والعلمانيون هذا التراث البشرى الوثنى مرة أخرى وقدموه فى نظريات ومناهج وأيدلوجيات

جديدة ، فنحن الآن نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة العصر العباسى وترجمة الفلسفات وظهور الكلام والاعتزال والتصـــوف الفلسفى ، بل اعتقد ان هذه المرحلة التى نعيشها اشد خطورة ، لأن المسلمين فى المرحلة الأولى كانوا غاية فى اليقظة ازاء مؤامرات الفكر الاغريقى والوثنى والعنوصى وكانت ارادتهم حرة مطلقة فقد واجهوها بقوة وكشفوا زيفها ودحضوا سمومها ، أما نحن فقد ظللنا وقتا طويلا تحت تأثير النفوذ الأجنبى وسيطرته تترجم الى لغتنا فلسفات ضالة وقصص اباحية وتطرح فى طريقنا مذاهب وايدلوجيات من الشرق والغرب ، من ركام فلسفات الليبرالية والماركسية والاشـــتراكية والشيوعية ، والوجـــودية والفرويدية والاباحية ، ليست الا هى الفلسفات القديمة : فلسفات الاغريق والمجوس والهنود مصوغة فى اســـاليب جـــديدة . وليس عجيبا أن نرى رجلا مثل الدكتور (صبرى جرجس) المسيحى الذى عاش أكثر مـــن خمسين عاما داعية علم النفس الفرويدى فى مصر فاذا به فجأة يكتشف ان هذا العلم الذى سارت به الركبان شرقا وغربا والذى فرضته المعاهد والجامعات كعلم اساسى وكحقائق وليس كنظريات وفروض تخطىء وتصيب ، هو منقول تماما وبالكامل من التلمود ومن مكر يهـــود لتهديم البشرية وتدميرها ، وفجأة اســـتفاق ضـــميره فكتب كتابه المعروف فى هذا المجـــال ، الذى هـــز دوائر التغريب فأخـــذوا يهاجمونه فى عنف ، ومضى هو فى هدوء يكشف لهم هذه الحقائق ويبين بالأسانيد والأدلة العلمية ان كل ما ادعاه فرويد علما لم يكن الا عصـــارة مرجـــل أحقاده واحقاد اليهودية العالمية على البشرية رغبة فى تدميرها .

ثم عـــرف بعد ذلك انه كانت هنـــاك علاقة بين ماركس من ناحية وبين هرتزل من ناحية ، وبين فرويد من ناحية ثالثة ، وان هـــذه العلاقة عملت وان لم تتعاصر فى ســـبيل الهدف الذى رتبته التلمودية لتهديم البشرية واذلالها وسحقها .

احدهم من ناحية اعلاء المعدة ، والآخر فى اعلاء الجنس ليفتحا الطريق امام هدف هرتزل المعروف .

هذا التراث البشرى ترونه واضحا فى :

١ ــ الفلكلور وما اسموه التراث الشعبى الحافل بالخرافات .

٢ ــ فى دعوة ان الانسانية بدأت وثنية ثم وحدت .

٣ ــ احياء الأساطير : جلجامش وعشتروت وغيره .

٤ ــ السحر والروحية الحديثة (تحضير الأرواح) .

٥ ــ فكرة السامية التى تحجب حنيفية ابراهيم عليه السلام.

٦ ــ فكرة الجنس وسيطرتها على السلوك الانسانى وضرب دعوات اخرى حاولت أن تجعل من الدافع الشخصى (ادلر ويونج) بديلا للجنس فهم الذين نشروها واذاعوها .

٧ ــ نظرية دارون وتحولاتها .

٨ ــ نظرية ماركس واعتمادها على نظرية علمية سقطت .

واخطر ما فى التصوف الفلسفى قولهم بالجبرية واسقاط التكليف والفرائض المكتوبة واخطر ما فى مذاهب البهائية والقاديانية اسقاط فريضة الجهاد .

وهناك ذلك التراث الباطنى الفلسفى الذى قدمه ابن سينا والفارابى والنصير الطوسى وغيرهم من امثال العقول السبعة وغيرها ، وقضايا التصوف الفلسفى من أمثال وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، وما كتب فى رسائل اخوان الصفا وغيره ، وقد أقيمت على هذه الترهات مذاهب ودعوات باطلة أرادت أن تقلل من التوحيد الخالص الذى جاء به الاسلام ومن اسلام الوجه لله

فلا تغرنك اشعار ابن الفارض ولا كتابات الحلاج وابن عربى فانها تستقى من فلسفات اليونان والمجوس وتهـــدف الى تزييف ذاتية الاسلام الخالصة القائمة على التوحيد الخالص ولتجذر من مسألة الحب الالهى والعشق الالهى فهى سموم مركزة ذات أسماء لامعة ،

فما هكذا يدار الحديث بين الانسان وربه العظيم الكريم جــل جلاله ، ومنذ ان فتح هذا الباب : باب انقطاع الخشية عن جلال الله والخوف منه فقط تساقط أيمان الكثيرين ، ان عقيدتنا فى مفهــوم اهل السنة والجماعة هى الجمع بين الخوف والرجاء فى الله تبارك وتعالى أما كلمة الحب والعشـــق فلم ترد مطلقا فى تراث النبــوة ولا السنة ولا كلام التابعين والصالحين .

ما اشد حاجتنا الى التحرر من الارث اليهودى المســيحى ، اليونانى الرومانى والمجوسى الفارسى والفرعونى الوثنى وعلينا أن نقلب كل هذا التراث وأن نغربله ونحلله ونكشــف زيفه وأن نعلن فى قوة وجراة اننا لن نستسلم ولن نقبل التبعية واننا نرفض هذا الركام الزائف وما عندنا خير منه .

(اجابة على سؤال أحد طلاب جامعة العين بالامارات للكاتب عن دور الحركات الهدامة) .

* * *

المنهــــــج الربانــــــى

نحن نعرف ان التعليم العصرى لا يقدم لنا كل ما ينبغى عن مهمة الانسان فى الحياة وعن مهمة المراة فى المجتمع ، ومن أجل هذا فعلينا ان نقرأ وأن نتعرف الى مفهوم الاسلام فى هذا وأن لا نخضع المفهوم الغــربى الوافد ، فان الأمم تختلف فى مفاهيمها اختلافها فى عقائدها ومكوناتها ، ومن هنا فان علينا أن نتعرف على هذا الدين العظيم الذى جعلنا الله تبارك وتعالى من أهله ، وأن نتعرف على عقيدة التوحيد الخالصة وأن ندرس حياة نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وتاريخ الاسلام وتاريخ الصحابة الأعلام وأبطال أمتنا وأن نؤمن بأن اللغة العربية الفصحى هى قاعدة أساسية من قواعد بناء هذه الأمة ، فاذا تعلمنا لغة أخرى فيجب أن يكون ذلك لحساب لغة القرآن واذا عرضنا منهجا أو نظرية من النظريات التى يقدمها لنا الفكر الحديث فعلينا أن نعرف ما موقفها من الاسلام ، هل هى مطابقة له أو معارضة ، وعلينا اذا عرضت علينا الآراء والمذاهب فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية ان نذكر دائما ان لنــا منهجا ربانيا جامعا يتميز بأنه من عند الله تبارك وتعالى وانه قادر على العطاء فى جميع البيئات وفى جميع العصور ، لأنه مرن واسع الأفق وبذلك فهو متميز عن النظريات والايدلوجيات الحديثة التى قد تعطى بيئة دون بيئةأو عصرا دون عصر ، والتى تتصـــدع سريعا بفعل متغيرات الزمن والبيئة فيسارع أهلها الى تعديلها بالاضافة والحذف لأنها من صنع البشر ، أما المنهج الربانى فانه يقوم على الثوابت والمتغيرات ويسمح بالحركة داخل اطار الأصـــولَ الثابتة ولا يعارض مطامح الانسان أو رغباته ولكنه ينظمها ، وان علينا أن

نعرف ان هذا الدين العظيم جاء خاتما لأديان السماء بعد أن دخلت البشرية مرحلة الرشد الفكرى الذى جعلها قادرة على تقبل دين عالمى انسانى للناس جميعا ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد وعد الله تبارك وتعالى بحفظ كتابه :

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ووعد باظهاره على الدين كله ، والاسلام يختلف عن أديان أخرى فى انه ليس دين عبادة فحسب ، يقصر أمره على العلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان ولكنه يجمع الى ذلك علاقة أخرى هى العلاقة بين الانسان والانسان والمجتمع ، والانسان والعالم كله ولذلك ومن أجل مهمة الانسان فى الحياة التى يجب أن نسأل دائما أنفسنا عنها وأن نقوم على تنفيذها وهى بناء المجتمع الربانى ، لا بد من قيم ثلاث :

١ — مسئولية فردية .

٢ — التزام اخلاقى .

٣ — ايمان بالبعث والجزاء فى الحياة الآخرة ، وقد أعطى الاسلام الانسان كل ما يتطلع اليه سواء من أشواق الروح أو رغبات المادة على أساس التوازن والتوسط حماية لكيان الانسان نفسه من أن تدمره الرغبات فينهار ولا يصبح قادرا على حماية أمته ودينه من التحديات التى تواجهه . فان الأعداء بالمرصاد ، وهم يودون أن يسيطروا عليه ويصهروه فى مجتمعهم ، وفكرهم حتى تزول ذاتيته الخاصة وتميزه الذى جعله الله له من أجل أمرين : من اجل القدرة على اقامة دين الله ومجتمعه فى الأرض ومن أجل تبليغه للعالمين .

هذا شىء أريد أن الفت أنظاركم الكريمة الى العناية به .

والشىء الآخر هو تاريخنا المجيد ، الذى بناه آباؤنا وتركوا بصماتهم على كل شبر من هذا الكوكب بالايمان والبطولة والتضحية وبذل النفس فى سبيل الله وفى سبيل اقامة هذا المجتمع الاسلامى من حدود الصين الى حدود نهر اللوار فى ثمانين عاما .

هذا التاريخ الحافل يعطينا صورا رائعة للبطولات وللتضحية وهو أمر يجب أن يكون موضع اهتمامكم بحيث لا تخدعكم الدراسات الوافدة عن الصورة الاســلامية بعرض بطولات اخرى ، قامت فى الغرب على اساس الجشع والمطامع والتسلط اما بطولات الاسلام فقد قامت من أجل اعلاء كلمة الله .

تجدون مثلا لذلك فى هذه الملاحظات :

أولا : قدم المجاهدون المسلمون انفسهم فى سبيل الله وليس فى سبيل مطمع فردى أو مادى ، ومن أجل ذلك انتصروا بالعدد القليل على الجحافل العديدة الضخمة لأن ايمانهم كان اقوى من الجيوش والعــدد واماسنا اولئك الذين انتصروا وفتحــوا دون ان يذكروا أسماءهم ومنهم « صاحب النقب » .

ثانيا : دخلوا البلاد ولم يعرضوا دينهم وانما حرروا أصحابها من الظلم وحموا كنائسهم ومقدساتهم دون أن يطلبوا اليهم الدخول فى الاسلام حتى اقتنع الناس بالاسلام عن طريق عقولهم .

ثالثا : كانوا اذا انسحبوا من بلاد قبل ان يتموا حكمها اعادوا الجزية لاصحابها ، بل لقد حكم قاض مسلم بخــروج الجيش من سمرقند لأن الفاتحين لم ينذروا أهل البلاد بالدخول قبل الفتح وفق مفهوم الاسلام .

رابعا : اقام المسلمون فى الثغور بالمرابطــة حتى اقاموا الف رباط من حدود الشام الى حدود المغرب كانوا يرصدون فيها تحركات العدو لحظة بعد لحظة ويرسلون الحمام الزاجل الى القادة والحكام لتنبههم الى الاخطار القادمة قبل ان تقع .

وفى الناحية الأخرى قدم الاسلام تراثا ضخما فى مقدمته المنهج التجريبى الاسلامى الذى بنيت عليه الحضارة الحديثة المعاصرة :

أما الكسور العشرية صنعها المسلمون قبل الغرب، اللوغاريتمات الجغرافيا ، فن اسلامى اصيل ، سبق ابن خلدون فلاسفة الغرب فى التاريخ والاقتصاد ، المعرى سبق دانتى ، ابن مسكويه سبق دارون ، الطرطوشى سبق ميكافيلى .

وضع المسلمون علامة الاستفهام ، والترقيم والأحكام السلطانية اسماء النجوم عربية ، اقتحم العرب المحيط قبل ان يقتحمه كولومبس عرف العرب امريكا قبل ان يعرفها الغرب (ابن ماجد) هــــدى فاسكودى جلبها الى الهند ، قدم المسلمون بدعة كتابة المكفوفين ، تاريخ الحساب عربى والأرقام عربية .

وما يزال التراث الاسلامى متجدد العطاء .

نصف مليون مخطط اسلامى عربى فى مكتبات الغرب

هذا خيط من خيوط أحاول بها ان الفت أنظاركم الى أمجـــاد أمتكم حتى لا تظنوا اننا ونحن محاصرون اليوم بالنفوذ الغربى اننا أذلاء ، هذه العلوم التى تدرسونها فى جامعاتكم كلها بدأت عند مفكرى الاسلام : الطب ، الفلك ، العلوم السياسية ، الاجتماع ، الأدب ، الاقتصاد ، التربية ، نحن الذين قدمنا للانسانية أصولها ، ثم بنى عليها الغرب وحول وجهتها . ولما كانت لدينا كانت فى سبيل الله وبناء الانسان واصبحت فى سبيل الاستعلاء العنصرى والمطامع .

حضارة الاسلام قامت على الترجمة والاخاء البشرى ولم تقم على الطغيان والسيطرة ، جاء الاسلام ليقول للناس انهم لآدم وآدم من تراب ، وان أكرمكم عند الله اتقاكم ، وانه ليس لأبيض على أسود ولا لأسود على ابيض فضل الا بالتقوى .

هذه بعض الحقائق التى ارجو ان تكون موضع نظركم وتقديركم وأنتم تدرسون فى معاهدكم وجامعاتكم وتنظرون الى مجتمعكم والى المهمة التى وكلها الله تبارك وتعالى اليكم .

العلمانيـــــة

« العلمانية » فى كلمة هى فصل الدين عن المجتمع وقصره على العلاقة بين الانسان والله ، وهو ما يعرف باللاهوت ، وبعض الأديان هى كذلك ، ولكن الاسلام يختلف ، فهو دين عبادة ، ودين شريعة واخلاق ، فى نفس الوقت .

وفكرة العلمانية ظهرت فى أوربا نتيجة عدة عوامل منها موقف رجال الدين من النهضة ومعارضتهم للكشوف العلمية ، ومنها هدف اليهود من القضاء على سلطان المسيحية فى المجتمع الغربى وبذلك تتاح لهم السيطرة السياسية والنفوذ العسكرى ، ومن هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين فى فلسفات عديد من الفلاسفة امثال نيتشـــة وماركس وفرويد .

وقـــد تأثر العالم الاسلامى والفكر الاسلامى بظلال هذه النظرية وهذه الدعوة وكان للبعثات التبشيرية والارساليات وسيطرة النفوذ الاستعمارى على مناهج التربية والتعليم أثره فى اعلاء هذا الاتجاه وتعميقه بعد عزل الأسلوب العلمى الدينى الذى يتمثل فى المدارس والجامعات الاسلامية القديمة ولقد وقف الغرب بالعلمانية ضد أشياء كثيرة عزلها عن المجتمع ، واهمها الترابط بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ، وبين الدين والأخلاق ، وبين الدين والقومية ، أما نحن فى مجال الاسلام فالأمر يختلف تماما ، فالاسلام ليس دينا بمفهوم اللاهوت ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع ، وعلاقة ذات طرفين أو جناحين بين الله تبارك وتعالى وبين الناس ، وبين الناس بعضهم

البعض ، وهو الذى صنع الدولة فلا خلاف معها وهو الذى بنى المجتمع وأنشأ القومية ، والأخلاق جزء منه ومن هنا تجد العلمانية فى مجتمعنا ما يؤيدها .

لقد كانت المسيحية مجمــوعة من الوصايا لأنهــا تابعة للدين الموسوى فلما انفصلت ارادت ان تنشىء نظام مجتمع ، فأنشأت مفهوما بشريا ضاق عن الاحاطة بنظام الله تبارك وتعالى الجامع ، ومن هذه النقطة بدأت أزمات الحضارة والفكر الغربى اما الاســلام فانه نظام جامع ، العلم جزء منه والقومية جزء منه والحضارة جزء منه ، والأخلاق جزء منه ولا سبيل الى الفصل بين هذه العنــاصر لأنها جميعها تجرى فى نسق واحد .

ان الاسلام يرفض العلمانية التى تنادى بفصل الدين عن الدولة وانه بالمثل يرفض الدولة الثيوقراطية (حكومة رجال الدين) فكلا المنهجين العلمانى والثيوقراطى جزئى انشطارى لا يحقق النظــرة الكاملة والجامعة التى يقدمها الاسلام .

ان العالم اليوم ينظر الى هذه التجربة الغربية المسماة بالعلمانية على انها تجربة ضالةفاشلة سقطت كما سقطت الليبراليةوالماركسية والوجودية والقومية .

ان مصدر الخطر والفساد كله هو الفصل بين الروح والمــادة فقد جاءت النظرية المادية الفلسفية لتحطم وحدة القيم وتكامل الانسان والحضارة فقد تحولت أوربا من الفلسفة المثالية التى كانت تصدر عن المسيحية الى الفلسفة المادية التى تتحدث عن عالم لا خالق له ولا روح فيه وليس له مسئولية فردية أو التزام اخلاقى ولا بعث ولا جزاء .

هذه هى النظرية التلمودية التى استطاعت ان تسيطر علىالفكر الغربى بعد أن تحرر من التبعية للمسيحة التى ظهر أنها لم تحقق له

آماله ، وهذه النظرية الفلسفية المادية هى الثمرة الحقيقية لما اسموه (عصر التنوير) فعصر التنوير فى الغرب يعنى عصر الالحاد ، ولطالما لاكت اقلام الكتاب العرب كلمة التنوير على انها مرحلة عظيمةوكريمة وحاولوا ان يصفوا بها عصر التحلل والتبعية الذى مر به الفكر الاسلامى والعربى عند ظهور التغريبيين امثال طه حسين وسلامة موسى وعلى عبد الرازق .

والحقيقة ان العالم اليوم يبحث عن شىء آخر ، يبحث عن البعد الالهى للحضارة والمجتمع فلا يجده لان الفلسفة المادية التلمودية حولت الحياة السياسية الى صراع ميكافيلى وحولت الحياة الاجتماعية الى اباحية مغرقة وحولت الحياة الاقتصادية الى العجل الذهبى وامبراطورية الربا .

ومن هنا فان الاقلام التى تتحدث عن « العلمانية » فى العالم الاسلامى تتحدثعن اوهام ، وعن تجربة فاشلة سقطت كل ماسبقها من دعوات الليبرالية والماركسية والقومية وسقطت هى بالتبعية لأن الفكر الاسلامى عندما يعود الى اصالته لا يجد نفسه الا انه منهج حياة ونظام مجتمع ، لا ينفصل فيه العلم عن الدين ولا الاخلاق عن الدين ولا الروح عن المادة ، وتلك هى النظرية المستقبلية للبشرية كلها :

نظرية التكامل الجامع بين القيم تحت اسم ربانية المجتمع والحضارة .

(٢٥)

عـــــودة القـــــدس

حادثان هامان فى تاريخنا الاسلامى المعاصر : اسقاط الخلافة وسقوط القدس فى يد الصهيونية فلنذكر فى تاريخنا الاسلامى هذين الامرين لارتباطهما معا ، وان الأولى كانت مقدمـــة للثانية وتجىء الحملة على الدولة العثمانية من العلمانيين والقوميين بهدف تحطيم الوحدة الاسلامية او الحيلولة دون التئام الشمل مرة اخرى علىكلمة (لا اله الا الله) وهذه هى غاية الغايات فى الدعوات التغريبية ومن ورائها كل القوى التى ترمى الى السيطرة على هذه الأمة ومن هنـــا كانت دعوة القوميات والاقليميات التى يراد بها تمزيق وحدة الأمة ، وقد ثبت فشل هذه الدعوات التى خدعت المسلمين والعرب سنوات وكتبت فيها تلال من الصحف والمؤلفات ، وقـــد حاول التعليم فى المدرسة العصرية أن يقوم على هذا الهدف : هدف المبالغة فى تقدير الواقع الاقليمى وتجاهل وانكار جناحى الأمة مشرقا ومغربا ، أو تصويره بصورة الخلاف والخصومة وايقاع الفرقة ، واعلان شأن التاريخ الاقليمى واحياء تاريخ ما قبل الاسلام كل ذلك من أجل تدعيم الواقع الجزئى ، الذى يحول بين المسلمين وبين معرفة مصـــادر الأخطار والسموم التى تهب عليهم ، وليس اخطر فى حياتنا المعاصرة من ضياع القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين ، فهو القلب النابض من امتنا الاسلامية وقارتنا الجامعة للعرب والترك والفرس والهنود والملايو ، تلك كلها أمة الاسلام التى جمعها الله تحت لواء واحد ، ولقد كان اسقاط الخلافة الاسلامية عملا من أسوأ أعمـــال الانتماء بهذه الأمة وتدمير مقوماتها والقضاء على وحدتها ، وما زالت القوى الغربية تعمل على الحيلولة دون التئام الشـــمل لتعود الأمة الاســـلامية الى طريقها الجامع المحصن ، لأن فى ذلك خطـــرا على

الطامعين الذين ينهبون ثروات هذه الأمة ويغترفونها ويحولون بينها وبين القدرة على امتلاك ارادتها وامتلاك ثروتها وقد حباها الله تبارك وتعالى ذلك القدر الوافر من العطاء ، ومن الموقع ، ومن الثروة المذخورة فى باطن الأرض ، ومع ذلك فان هذه الثروات تذهب لتصنع فى بلاد اخرى ويبقى أهلها فى افريقيا يقاسون المجاعات ويموتون لأنهم لا يجدون لقمة العيش ، أن هذه الأمة لا عيب لها اكبرمن هوانها على نفسها أن تتلاقى وتعقد الحناجر لتقيم مجتمعها المتكامـــل اقتصاديا واجتماعيا وماليا وعسكريا فتذود عن نفسها وتحمى حماها وترد عنها عدوان المعتدين وتملك القدرة العسكرية التى تمكنها من الردع ، فعليها ان تسعى الى هذا الهدف : هدف استعادة القدس وتحرير الارض الاسلامية من كل غاصب ودخيـــل ، والعودة الى الوحدة الجامعة ، وبناء المنهج التعليمى والتربوى الذى يمكنها من ان تجعل الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، وتجعل من الاسلام مصدرا للحضارة الربانية ، وتجعل من الاسلام جنسية فكل من يعيش فى بلد مسلم فهو مسلم ، والمسلمون متلاقون فى ارزاقهم وأموالهم وقوتهم ، ولنعلم أن استعادة القدس هى قضية اسلامية أساسا وليست قضية اقليمية أو قومية ، وان علينا أن نرفع عـــلم القرآن هاديا لأمتنا ومرشدا لها الى أسلوب العيش الاسلامى وأن نرفض التبعية للغرب وفكره وتعليمه وفلسفته ومنهجه فى الحياة .

ان هذه العودة الى المنابع هى هدف أصيل من أهداف الصحوة الاسلامية ومطلب حقيقى يجب ان نسعى له ، وطريقنا الى ذلك واضح هو ان نكشف سموم التغريب والغزو الثقافى ، وأن ندمر هذه الاصـــنام التى صنعها الغرب ليجعلها بديلا من أضواء التوحيـــد الاسلامى فيجعلنا مبهورين بتلك الصور المزخرفـــة المسمومة من حضارته الاباحية وقصصه المكشوفة ، ودعواته المضلة الى تدمير مقومات شخصيتنا واثارة روح الوهن والتحلل والانهيار فى شباب أمتنا حتى يطبق قبضته على رقابنا .

(٢٦)

تكامـــل القيـــم

كان من اخطر المحاذير التى جنحت بالحضارة الغربية والفكر الغربى عن الأصالة والفطرة وعن القدرة على التصرف على طريق الله تبارك وتعالى هو الانشطارية والفصل بين القيم ، وكان اخطر ذلك كله الفصل بين القول والعمل ، بين النظرية والتطبيق وهى مسألة خطيرة فرض الله تبارك وتعالى ان يوجه نظرنا اليها حتى لا نقع فيها **(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله انتقولوا ما لا تفعلون) .**

هذا الفصل هو الذى أوقع الحضارة الغربية الجديدة فى المحاذير التى تواجهها وفى الازمات التى تخوضها اليوم . ومن ذلك النظـــرية الفردية الى الانسان وعليهنشأ المنهج الليبرالى استمدادامن المسيحية الغربية التى تؤمن بالفرد ، فجاءت الحرية الفردية فى الاقتصـــاد الرأسمالى ، ثم جاءت النظـــرة الجماعية فى المذاهب الاشتراكيـــة والماركسية ، وكلا المذهبين يطغى تماما فلا يوجد للمذهب الأخـــر مكانا ثم جاء الفصل بين المادى والمعنوى ، بين ثقافة القلب وثقافة العقل ، بين الدين والعلم ، ثم جاءت اخيرا نظرية (الثقافتان) الأدب والعلم وهناك دعوة حارة فى الغرب اليوم الى ازالة الهوة الموجودة بين رجال العلوم ورجال الآداب يقول المفكر الغربى (ســـنو) ان الحياة الفكرية فى العالم تمر بفقدان التوازن بين احتياجات العقـــل ومتطلبات الوجدان ، ويرى أن هذا التباعد سيؤدى الى كارثة فى العالم الغربى ، ونحن نتساءل وهل الالتقاء بين العلوم والاداب كاف

لاصلاح مسار الحضارة ، هيهات ، لأن العنصر الأهم ما يزال ممزقا وهو العلاقة بين الدين والعلم فما يزال العلم فى الغـــرب يرى انه المسيطر ، وقد انحاز الدين الى جانب قصى ، ومعنى هذا هو الفصل بين الروح والمادة ، أوبين العقل والقلب وهما قوام حياة الانســـان الأساسية ، ولا سبيل لهذه الحضارة أن تصل الى طريق صحيح الا اذا قامت على أساس الالتقاء بين القوتين الأساسيتين فى الانسان ولكن هيهات فقد أوغل المذهب المادى فى الفكر الغربى والمجتمـــع الغربى والحضارة الغربية ايغالا شديدا يكاد يكون لا رجعة منه ، نحن المســـلمين لا نعلى العقـــل ، ولا نعلى العـــلم ، ولا نعلى الطبيعة ولا نعلى الانسان ، ولكنا نقيم مفهومنا على النظرة الجامعة والتكامل بين الروح والمادة ، وبين الالهى والبشرى ، وبين الجماعية والفردية ، فى تناسق عجيب وضع أسسه المنهج الربانى وهو غريب شديد الغرابة على النفس الغربية ، ولذلك فاننا نعتقد اننا يجب ان نحترز أشد الاحتراز من اعلاء الجانب العقلانى كما يدعونا البعض أو الجانب العلمى والمادى ، كذلك فنحن يجب الا نسرف فى مسألة التخصص الذى يفقد صاحبه النظرة الجامعة وعلى المسلم ان ينظر الى العلوم والقيم على أنها متكاملة تتلاقى ويؤثر بعضها فى البعض الآخر ، فلا يمكن التفرقة بينها ، ولا يمكن أن يقول عالم النفس انا لست مسئولا عن الاجتماع أو يقول عالم الاقتصاد أنا لست مسئولا الامين أو يقول عالم السياسة أنا لست مسئولا عن الاخلاق أو يقول الأديب أنا أعبر عن الأحاسيس فيذهب بها الى ما يفسد المجتمع أو الاخلاق أو ينال من القيم أو يؤثر على الضوابط والحدود .

ان مفهومنا الاسلامى للتخصص لا يحدث الا من خلال النظـــرة الجامعةالتى لا تنحرف به عن الرؤية الكلية لوجهة المجتمع والحضارة ودون ان يفقد المجتمع اخلاقياته وقيمه ومسئوليته الفردية والايمان بالجزاء الأخرى .

كذلك فان الاسلام يفترض فى المناهج ان تكون ايجابية موجهة

لا احصائية شكلية على النحو الذى نراه فى علم الاجتماع وغـــيره فى الغرب ، ان مفهومنا للعلوم يتطلب تصحيح خطوات المجتمع نحو الالتقاء بالدين الحق وتحرير القيم من الوثنيات والماديات التى تتطرق اليـــه .

ومن ذلك جاءت فكرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحن نتساءل فى مواجهة التحديات التى يفرضها التغريب على مجتمعنا ، هل يقبل واقع المجتمع الاسلامى القائم ونبرره ، ام أن الاسلام يدعونا الى تصحيح المفاهيم وتحرير القيم حتى تتحرك على طريق الله تبارك وتعالى فى ضوء الأصول الأساسية التى قدمها لنا القرآن منهجا .

ان متغيرات المجتمع الاسلامى يحتاج الى ثوابت الاسلام وان نواجه ذلك بالعزائم لا بالرخص .

وان نتحرر من خطر الترف الفاسد الذى هو علامة بدأ عصور التفكك والانحدار .

* * *

العـــــودة إلى الله

العودة الى المنابع : هى صلب دعوة مدرسة الاصالة التى حمل لواءها الامام أحمد بن حنبل حتى صاغها الامامان ابن تيمية وابن القيم فى منهج اصيل : هذا المنهج لم يتوقف عن ان يحمله المجاهدون جيلا بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأنجح الله تبارك وتعالى قصده وارتبط المنهه الربانى بالحكم فقامت دولة عايشت الاحداث وكان ظهورها مجددا عام ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة العثمانية ولم ينس المسلمون على طريق يقظتهم هـــذه الدعوة :

دعوة الخروج من التبعية والتقليد والخضوع الوافد أو الخضوع للقديم المنحرف الذى حرفته الشعوبية والمجوسية والباطنية بمـــا ادخلته من مفاهيم مسمومة مستمدة من كلا الفلسفتين : اليونانية (علم الاصنام) أو الغنوطية الشرقية والاشرافية . وما تزال حركة اليقظة تكشف هذا الزيف الواغل عن طريق القاديانية والبهـــائية والماسونية ومخلفاتها الجديدة ، لاحياء الفكر التلمودى القديم ومذهب النرفانا والسحر والأساطير وتفسيرات التاريخ والمجتمع والحضارة عن طـــريق الجنس أو لقمة العيش أو التفســـير المادى ومن خلال مؤسسات كثيرة اليوم ، كالتبشير والاستشراق واليونسكو نجـــد دعوات العلمانية والقومية العتيقة والاقليمية واحياء تراث ما قبل الاسلام والفلسفات المادية او تمزيق التكامل بين القيم : الدين والعلم، الالهى والبشرى ، العروبة والاسلام ، السياسة والأخلاق ، العقل والروح ، التربية والتعليم .

ونحن حين ندعو الى التكامل بين هذه القيم ندعو الى تفرق بين الشورى والديمقراطية ، والعدل الاجتماعى والاشـــتراكية ، وبين التحديث والتغريب وبين المعرفة والثقافة ، ان مزية الاسلام الخطيرة البارزة انه لا يقبل كل شىء .

ان الأديان المنزلة تلتقى فى ثلاث :

ــ الايمان بالله الواحد .

ــ الايمان باليوم الآخر .

ــ الالتزام بالمنهج الذى يحكم سلوك الفرد والجماعة .

ويأتى بعد ذلك الخلاف فى التفاصيل ، لقد اقتضت ارادة الله تبارك وتعالى وحكمه ان تكون مسيرة البشرية الى الله فى مراحل هى الأديان ، كل منها يسلم الى الآخر ، حتى ختامها وقد أخذ الله تبارك وتعالى العهد على كلنبى انه اذا جاء محمد صلى الله عليه وســـلم ان يؤمن به ويتبعه ، لقد كانت مفاهيم الأديان سلسلة واحدة ولكن اختلفت التفسيرات التى وضعها رؤساء الأديان .

فجاء ألاسلام ليعود بالبشرية الى الارتباط بالحنيفية السمحاء التى جاء بها ابراهيم لتعدبل مسيرة الحياة الى طريقها الصحيح .

وهذا معنى الخروج من الظلمات الى النور .

لقد دخلت زيوف كثيرة فلا بد من العودة الى المنابع .

مفهوم الاسلام نفسه ، بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع دخلت عليه الزيوف الفكر الاسلامى : قرآنى المصدر ولكن دخلت عليـــه زيوف من الفلسفة اليونانية انحرفت به مرة نحو عقلانية المعتزلة ، أو حدس الوجدان الصوفى ، ولكن الاســـلام جامع بين الوجدانية والعقلانية .

دخلت دخائل على الفكر الاســـــلامى فهناك النظرة القومية والنظرة المادية ، والنظرة الوطنية ، والنظرة الاقتصادية ، اما الفكر الاسلامى الأصيل فانه جامع لكل القيم لا يعلى احداها .

ان ذاتية الاسلام وتميزه وهـــو الذى يحول دون انصهاره مع الأديان أو المذاهب أو الايدلوجيات فى بوتقة واحدة ، تمثل هـــذا التميز فى ربانية المصـــــدر ، وفى انسانيته ، وفى عالميته وفى منهجه الجامع المرن المتسع القادر على تقبل من الحضارات والأمم ما شاء دون ان يخرج عن خاصيته وذاتيته .

ان محاولة صرف المسلمين عن منهج حياتهم الأصيل الذى تعارفوا عليه وعاشوا به عمرهم والذى حقق لهم النصر عند الازمة والفرج بعد الشدة ، والخروج من ألاحتواء والتخلص من السيطرة الخارجية هـــذه المحاولة يجب ان ينكسر قيدها ولن نهدى أنفسنا للعواســـل الحقيقية التى عرفها اجدادنا عن طريق منهج القرآن ونرد الاسلام الى مواجهة التحديات والخروج من المآزق وهى وسائل ثابتة اصيلة ربانية لا يمكن ان تقـــع تحت مقولة فاتها الزمن لأنها من الثـــوابت الحقيقية ألتى هدى الله تبارك وتعالى هذه الأمة اليها والتى مازالت قادرة على العطاء أكثر .

* * *

طـــه حسيـــــن

ان محاولة احياء طه حسين فى ذكراه العاشرة هى محاولة ماكرة فهى تبدو فى نظر الذين لا يتعمقون الأمر : عملا طيبا ، لأنه يحاول أن يتحدث عن شخصية ادبية وفكرية وجدت من الشهرة واللمعان قدرا يفوق بكثير اترابها فى عصرها ويفوق الذين قاموا بأجل الخدمات لهذه الأمة فى كل العصور ، وتلك بدعة أصحاب الفكر الوافد وتلك هى قدرتهم على اعطاء اعوانهم ذلك اللمعان الخاطف وتلك الشهرة الفائقة ، وتلك الألقاب التى تجرى بأسمائهم على كل لسان ولكن لكل شىء نهاية ، ولا بد أن يكون لهذا الزيف حد يقف عنده ، ولا بد أن تتكشف الحقائق امام الأجيال الجديدة ويعلم الناس كم هم خدعوا بالأمس وكم للتغريب من خداع ، أن هناك كلمات تردد ، كالتعليم كالماء والهواء ، ودعوته الى الحرية ودعوته الى التحديث والمعاصرة والحضارة ، ولكن وراء كل كلمة من هذه الكلمات حقيقة تكشف زيف دعواها ، ومظهرها الخداع ، ان هذه المحاولات التى قدمهـــا طه حسين وسلامة موسى وعلى عبد الرازق وحسين فوزى ولويس عوض وتوفيق الحكيم ، هى فقاقيع الماء أو كبالونات المراقص ، لاتستطيع أن تثبت أمام الحق الواضح ، ان الخلفية التىتحمل لواءها دعاة التغريب تختلف تماما عن الواقع ، هناك التمويه والغش الخفى والخداع وهى كلها تتخفى وراء الصورة الظاهرة من أجل الوصول الى غاياتها من تكريم واعلاء التغريب والعلمانية واستمرار الخطة ، فالدفاع عن طـــه حسين اليوم ليس الا دفاعا عن وجود القـــوى التغريبية التى قادها وكان رائدها وعميدها ، وما تزال تتكشف تلك

السموم التى اذاعها هذا العميد ، ان تلك المحاولة لحماية طه حسين والدفاع عنه ليست فى الحقيقة الا تأكيدا للعاملين فى حقل التغريب ان هذه الحماية والامن الدائم مستمرة وحتى لا يظن التغريبيون ان القوى التى دفعتهم قد تخلت عنهم .

ان احياء طه حسين هو احياء للشعوبية الخطيرة التى حاولت تدمير قيم الاسلام واللغة العربية والأدب العربى وتاريخ الاسلام .

ومن الوسائل الخادعة محاولة ادخال طه حسين الى دراسات الأزهر وهو الرجل الذى عادى الاسلام من خلال الأزهر أكثر من نصف قرن ، فنرى بعض من يخدع بكتابة رسالة عنه يدافع عن اغلاطه أو يتخذ احدهم من كتابه المسموم مستقبل الثقافة مصدرا لرسالة (اطروحة) عن التربية عند طه حسين .

ان هذه المحاولات كلها لم تكسب طه حسين ثقة المسلمين ، بل هم يعلمون اساليب المكر والخداع التى تجرى وراء خطوط الدفاع لمحاولة استنقاذ ماء الوجه سأل أحد الأخوة فى جامعة العين :

ما هى الأدلة التى تؤيد انحراف فكر طه حسين ، وهل يحتاج النهار الى ليل ، وكل ما كتبه كان على طريق تشويه الفكر الاسلامى .

١ ــ انكار وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بالرغم من اعترافه بورود اسميهما فى القرآن .

٢ ــ دعوة طلابه الى نقد القرآن بوصفه كتاب أدب فيه الضعيف والقوى .

٣ ــ تحريف تاريخ الصحابة ووصفهم بأنهم رجال سياسة محترفون .

٤ ــ انكار ان الاسلام كان له أثر فى تغيير العقلية العربية .

٥ ــ فتح الطريق أمام التفسير المادى للتاريخ .

٦ ــ اعلانه شأن الأقلية ودعواه بأن الاســلام اذا عارضها نحينــاه .

٧ ــ دعوته الى أن الدين خــرج من الأرض كما خــرجت الجماعة ولم ينزل من السماء .

وليس هذا الا القليل من الأدلة التى تكشف انحــراف فكره ولو انه قرأ قليلا فيما كتب عنــه أو عن كتبه لا لتيقن بصـــحة ما نقـــول .

* * *

(٢٩)

قضيـــة القمـــم الشـــوامـــخ

ان هناك وهما كبيرا خدعتنا به الأسماء اللامعة وهى أن هذه القمم الشوامخ هى التى صنعت النهضة العربية او نهضة الشرق وخاصة فى مجال النضال الوطنى والتحرر من النفوذ الأجنبى .

والحقيقة أن هذه الأسماء اللامعة لم تصنع تلك النهضة التى يظن أنهم صنعوها وانما صنعها غيرهم من ذوى الأسماء المجهولة والتى لم تحرز مثل هذه الشهرة العالية المدوية ، أولئك المخلصون الصادقون فان أحدا لم يذكرهم اليوم ، أما هذه الأسماء اللامعة فانها لم تصنع شيئا ومصدر شـــهرتها أنها عملت فى مجـــال السياسة والحزبية والصـــحافة يوما بعد يوم ، فى ذلك الركام المضـــطرب العاصـــف من الصراع الحـــزبى والجدل السياسى والهجاء المرير فأعطاهم هذا كل هذه الشهرة ، أما جهدهم الحقيقى فى مجال بناء النهضة فهو قليل .

وأمثال هؤلاء اللامعين لم تكن كتاباتهم فى الأدب والفكر تساوى واحدا من مائة من كتاباتهم السياسية والحزبية والجدل والهجـــاء ولم تكن تساوى واحدا من الف من كتابات ذوى الأصالة والثقافة والنتاج الجـــديد ولكن الســـياسة والحـــزبية هى التى أعطتهـــا لمعان الاسم .

ان اسماءا كثيرة هى التى اعطت النهضة الاســلامية دفعتها الثورية من علماء وكتاب الأصالة الحقة وليس هؤلاء هم الذين قاموا بهذا الدور ولا ننكر انهم شاركوا فيه بجهد ضئيل لا يتفق مع شهرتهم ولكن كانت لهم اخطاء وانحرافات فقد استمدوا دورهم ونشاطهم من مناهج الغرب وعجزوا عن فهم مناهج الاسلام فأخطئوا فيها ونقلوا عن الاستشراق كثيرا ولكن الأصالة الحقيقية كانت ممثلة فى مجموعة ضخمة لها دور حقيقى (ولكنه لم تفتح لها ابواب الصحف الكبرى التى كانت تابعة اذ ذاك أو فى خدمة النفوذ الأجنبى) من أمثـــال مصطفى صـــادق الرافعى أو رشـــيد رضا وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا والكواكبى وعلال الفاسى وأحمد توفيق والبكرى والمويلحى والمنفلوطى وفريد وجدى والغلايينى وطنطاوى جوهرى وعبد الوهاب خلاف ، ومحمد أبو زهرة .

فكيف يمكن انكار هؤلاء وتجاهلهم وحصر الحديث عن ثلاثة أو أربعة هم طه حسين والعقاد وهيكل وسلامة موسى الا اذا كان هناك هدف مبيت لاعلاء هذه الأسماء وحدها وتجاهل هذه المجموعة الضخمة التى صنعت فعلا يقظة الفكر الاسلامى واستخدمت جهودها من مفهوم أصيل للتراث الاســلامى ومن الطلاقة حقيقة بعيدة عن اخطاء الاستشراق وانحرافات الفكر الوافد .

＊＊＊

ونحن حين نكشف عن أخطاء طه حسين لا نستهدف الا كشف حقيقة هذا التيار الوافد وقد ظل طه حسين مكشوفا لجيله خلال اكثر من اربعين سنة ولم تغلب عليه طابع القداسة الكاذب الا بعد أن مات الرافعى والعقاد وزكى مبارك ومحب الدين الخطيب وكل الذين كانوا كاشفين خبثه وهدفه .

ان المسألة ليست مسألة الاصابة والخطأ ، فان كثيرا من كتاب

هذه الفترة بدءوا فى احضان التغريب ثم تكشف لهم فساد ما ذهبوا اليه فعادوا الى حظيرة الأصالة ومن هؤلاء :

الدكتور هيكل ومنصور فهمى وزكى مبارك وكثيرون ..

أما الدكتور طه حسين فانه أصر فى صلف على تحيزه وولايته للغرب وعاش تابعا حتى نهـــاية حيـــاته يدور فى فلك الاستشراق والتغريب .

* * *

(٣٠)

حتى لا تضيع الهويه الاسلاميه

أبرز مثل تصور به الفلسفة المادية الغربية المعاصرة بأنها :

منازعة الفطرة ، ومشادتها ، ومعاكستها والسبح ضد التيار العنيف فحيث يوجه الله تبارك وتعالى الانسان الى مهمته فيصنع له خلايا جسمه وعقله وتكوينه النفسى والوجدانى على نحو يتفق مع هذه المهمة والمراة كذلك نرى الفلسفة المادية تصر على مساواة المرأة والرجل فى كل شىء وتغلو فى ذلك غلوا شديدا حتى انها تجعل ذلك اساسا لحركة المجتمع والحضارة ومن هنا تأتى الاضطرابات والأزمات وعمليات الصراع وما يسمونه القلق والتمزق والنبرة النفسية .

ومن حيث يكون الانسان ربانيا فى عمله ودوافعه وحركته وتعامله مع المجتمع والناس يختفى هذا البعد الربانى اختفاءا تاما من المجتمعات والحضارة على نحو يغلو قدر الانسان غلوا شديدا فى اعتبار نفسه صاحب القدرة ، والناظر الى الأمور نظرة المتصرف ، والمعتقد ان الطبيعة خلقت نفسها وانها تدين نفسها ومن ثم تأتى تلك الأزمات الشداد التى تحيق بالمجتمعات التى تخالف نواميس الكون والمجتمع ، فتسرب اسرافها الشديد فى الشهوات والتحلل والمتع فتسقط سقوطا مدمرا وما تزال الحضارات المادية

تكرر نفسها دون الاعتبار بما حدث للحضارات التى سـبقتها حين اندفعت وراء الشهوات والفاحشة .

(أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين مـن قبلهم) .

ومن حيث النظرة الى الأمور نجد الأهواء تحيط بالمنهج العلمى وتسيطر عليه وتصطنع وسائل التبرير والتأويل للهروب من الحقيقة وتغليب أهواء النفس والاعتماد على الظنون والملابسات دون الحقائق الدامغة **(أن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس) .**

***

ثم تأتى هذه الموجة الجارفة : موجة العقلانية ، واعلاء العقل اعلاء يفوق قدرته ومهمته وحقيقته ، والمغـالاة فى ذلك الى حـد تقديسـه .

انه حيث تضيع الحدود والضوابط التى رسمها الدين الحق للتعامل مع القيم فانه ينفتح باب الأهواء والظنون ، وقد فتح هذا الباب أمام الفكر الغربى والحضارة الغربية فتقلبت الفلسفات من اعلاء العقل الى اعلاء الانسان الى اعلاء الشهوات والجنس الى اعلاء الاقتصاد والمال ، وهذه ضربات ذات الشمال واليمين ، حيث لا حاجز ولا ضابط منذ تخلصت الفلسفات الغربية من مفاهيم الدين ولقد جاءت التجريبية العلمية لتكشف فساد الأرضية كلها التى قامت عليها العقلية الغربية سواء كان استمدادها من الوثنية اليونانية أو من المسيحية الغربية المحرفة عن المسيحية المنزلة أم فى انحرافها الأخير الذى وصف بأنه (عصر التنوير) وهو عصر الخروج على القيم والأخلاقيات واندفاع فى موجة صارخة وراء مطامع الانسان

واهوائه ، فكانت تلك الأزمة القاسية التى يعيشها الغرب والعالم كله تبعا له وهى ازمـــة التمزق النفسى والصراع والانشـــطارية والاغتراب .

ان الحضارة الغربية بفكرها المادى تنطلق الى طريق مسدود وتذهب مذهب الحضارة الرومانية وهى بذلك تضع نهايتها وتكشف عن علامات سقوطها .

* * *

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

دار العلوم للطباعة
القاهرة: ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت ٣١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ٨٤/٥٣٧٦

الترقيم الدولى ـــ ٩ ـــ ٨٧ ـــ ١٤٢ ـــ ٩٧٧